سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح

الأربعين النووية

والزيادة الرجبية

لفضيلة الشّيخ صالح بن محمَّد اللُّحيدان

رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا وَسَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وخليله وَرَسُولُهُ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديهم واتبع سنتهم، وبعد:

فإنّ أشرف الأعمال وأكملها ما كان في سبيل العلم الشرعي إذا صاحبته النية الخالصة الصالحة؛ لأنّ الحياةَ في حمْل ميراث النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتغاء مرضاة الله ورغبة في نفع عباد الله من أجلِّ ما يتقرب به العبد المسلم بعد أداء فرائض الإسلام، وليس بعد كلام الله جَلَّ وَعَلَا أفضل من كلام رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن شرف الكلام تابع لعظمة ومنزلة المتكلِّم، فأجل الكلام كلام الله وأجل كلام البشر كلام رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والسُّنّة قرينة الكتاب الكريم، فإنّ مصادر الشريعة الإسلامية الأساسية هي كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة نبيِّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله جَلَّ وَعَلَا أعطىٰ نبيَّه جوامع الكلم، الكلام قليل المبنىٰ بحروفه، عظيمٌ جليل المعنىٰ؛ ذلك أن الله جَلَّ وَعَلَا أرسل محمدا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشريعة باقية إلىٰ أن يأذن الله جَلَّ وَعَلَا بزوال هـٰذه الدنيا وما عليها.

والناس لا يزالون بخير ما عظّموا سنّة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واجتهدوا في فهم مقاصدها ومعانيها، وعرضوا مشاكلهم وما يجدّ من قضاياهم علىٰ كتاب ربِّهم جَلَّ وَعَلَا وسنة نبيهم محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد خدم السلف رحمة الله عليهم سنة نبيِّ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واهتموا بالذبّ عنها والذود عن حياضها، وبيان مقاصدها، وتصفيتها علىٰ أن يعلق بها ما ليس منها، فلأهل الحديث منّةٌ علىٰ كل طالب علم، يترضَّىٰ عنهم، يترحم عليهم، يعرف لهم حقهم هم حملة العلم الصحيح مع كتاب الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن

العلم الصحيح النافع الذي لا مجال لغمزه ولا للغمز فيه هو علم الكتاب والسنة، وكل علم أسِّس علىٰ مقاصد الكتاب والسنة فإنما ينال الشرف بشرف الكتاب والسنة.

ومجلسنا هـٰذا متعلِّقٌ بسنَّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإني أنصح طالب العلم أن يهتمّ بحفظ ما قدر علىٰ حفظه من السُّنّة، فإن العلم النافع الذي يجده الإنسان إذا احتاج إليه إنما هو ما أمكن حفظه؛ لأن الفهم فرعٌ عن الحفظ، إذا لم الإنسان يحفظ شيئا فيفهم ماذا؟ لكن إذا كان الرصيد محفوظا صار الإنسان يراجع نفسه كلما زل فهمه، يراجع الألفاظ.

وهـٰذه الرِّسالة الهامة -الأربعون النووية- لا شك أنّ مؤلفها كان علىٰ نية صالحة، ولولا ذلك ما صار لها هـٰذا القبول العجيب، والانتشار البيّن، وتسابق العلماء علىٰ شرحها وتخريج أحاديثها.. إلىٰ غير ذلك.

وكان الناس إلىٰ وقت غير بعيد قَلَّ أن تجد طالب علم لا يحفظ الأربعين النووية، وقد أضاف إليها ابن رجب تكملة لتكون خمسين حديثا، وعامة أحاديثها من الأحاديث الهامة العظيمة التي يبنىٰ علىٰ مثلها أو بني علىٰ مثلها التشريع الإسلامي.

ولا أسترسل في الكلام، وإنما كلمة جاءت بين يدي هـٰذا العلم العظيم الشريف، وفي ملاقاة هـٰذه الوجوه التي أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن ينفعها بهذا الحضور، ويزيد في نفوسها تعظيم سنة نبيِّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.



قال العلامة يحيىٰ بن شرف النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ:

الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَيُّومِ السَّمٰوَاتِ [وَالْأَرَضِينَ]، مَدَبِّرِ الْـخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، بَاعِثِ الرُّسُلِ – صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ– إِلَىٰ الْـمُكَلَّفِينَ؛ لِهِدَايَتِهِمْ وَبَيَانِ شَرَائِعِ الدِّينِ، بِالدَّلَائِلِ الْقَطْعِيَّةِ وَوَاضِحَاتِ الْبَرَاهِينِ، أَحْمَدُهُ عَلَىٰ جَمِيعِ نِعَمِهِ، وَأَسْأَلُهُ الْـمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ [وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ] الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الْكَرِيمُ الْغَفَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، أَفْضَلُ الْـمَخْلُوقِينَ، الْـمُكَرَّمُ بِالْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، الْمُعْجِزَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ عَلَىٰ تَعَاقُبِ السِّنِينَ، وَبِالسُّنَنِ الْمُسْتَنِيرَةِ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ، الْمَخْصُوصُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَسَمَاحَةِ الدِّينِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ سَائِرِ النَّبِـيِّـينَ وَالْـمُرْسَلِينَ، وَآلِ كُلٍّ وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

أَمَّا بَعْدُ..

فَقَدْ رُوِّينَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَمُعَاذِ بْن جَبَلٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ عَبَّاسَ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ [أَجْمَعِينَ]= مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَاتٍ بِـرِوَايَاتٍ مُتَنَوِّعَاتٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ حَفِظَ عَلَىٰ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**بَعَثَهُ اللهُ فَقِيهًا عَالِمًا**»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «**وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا وَشَهِيدًا**»، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «**قِيلَ لَهُ: ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ**»، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ: «**كُتِبَ فِي زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ، وَحُشِرَ فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَاءِ**».

وَاتَّفَقَ الْـحُفَّاظُ عَلَىٰ أَنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ؛ وَإِنْ كَثُرَتْ طُرُقُهُ.

وَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فِي هَـٰذَا الْبَابِ مَا لَا يُحْصَىٰ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ، فَأَوَّلُ مَنْ عَلِمْتُهُ صَنَّفَ فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ، ثُمَّ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ النَّسَوِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الْآجُرِّيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْن إِبْرَاهِيمَ الْأَصْفَهَانِيُّ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَأَبُو نُعَيْمٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ السُّلَمِيُّ، وَأَبُو سَعْدٍ الْمَالِينِيُّ، وَأَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ،

وَأَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ...، وَخَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ.

وَقَدْ اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَىٰ فِي جَمْعِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا اقْتِدَاءً بِهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ وَحُفَّاظِ الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ جَوَازِ الْعَمَلِ بِالْـحَدِيثِ الضَّعِيفِ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، وَمَعَ هَـٰذَا فَلَيْسَ اعْتِمَادِي عَلَىٰ هَـٰذَا الْحَدِيثِ؛ بَلْ عَلَىٰ قَوْلِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ**»، وَقَوْلُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا**».

ثُمَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ جَمَعَ الْأَرْبَعِينَ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْفُرُوعِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْجِهَادِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الزُّهْدِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْآدَابِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْـخُطَبِ، وَكُلُّهَا مَقَاصِدُ صَالِحَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْ قَاصِدِيهَا.

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمْعَ أَرْبَعِينَ أَهَمَّ مِنْ هَـٰذَا كُلِّهِ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ حَدِيثًا مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، وَكُلُّ حَدِيثٍ مِنْهَا قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ، قَدْ وَصَفَهُ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّ مَدَارَ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ، أَوْ هُوَ نِصْفُ الْإِسْلَامِ أَوْ ثُلُثُهُ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَلْتَزِمُ فِي هَـٰذِهِ «الْأَرْبَعِينَ» أَنْ تَكُونَ صَحِيحَةً، وَمُعْظَمُهَا فِي [صَحِيحَي] الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَأَذْكُرُهَا مَحْذُوفَةَ الْأَسَانِيدِ؛ لِيَسْهُلَ حِفْظُهَا وَيَعُمَّ الِانْتِفَاعُ بِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.[١]

وَيَنْبَغِي لِكُلِّ رَاغِبٍ فِي الْآخِرَةِ أَنْ يَعْرِفَ هَـٰذِهِ الْأَحَادِيثَ؛ لِـمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْـمُهِمَّاتِ، وَاحْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَىٰ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ.

وَعَلَىٰ اللهِ الْكَرِيمِ اعْتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِيضِي وَاسْتِنَادِي، وَلَهُ الْـحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

هـٰذه المقدمة مقدمة جديرة بأن يكرر الرَّاغب في حفظ الأربعين النووية مطالعتها وقراءتها، ليحسن له نوع من الاقتداء بهؤلاء الأعلام، وليتأمل عزائم السلف في الرّغبة لتحقيق الخير ونشر العلم ومدىٰ اهتمامهم وتعظيمهم لسنَّة نبيهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) سقط من النسخة المقروءة: ثُمَّ أُتْبِعُهَا بِبَابٍ فِي ضَبْطِ خَفِيِّ أَلْفَاظِهَا.

وما ذكره الإمام النووي رحمة الله عليه في المقدِّمة في سرد عدد كبير ممن أشاروا إلىٰ الأربعين أو من أَلف فيها، وأُلف بعده في الأربعين أيضا، كلُّ ذلك يحذو بطالب العلم أن يهتم بحديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما فيه من الخير العظيم؛ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أوتي جوامع الكلم وخُصَّ من بين سائر الأنبياء بشيء من ذلك لم يخص به من سبقه.

ولطالب العلم الأدلة الموجودة في نفس هٰذه الرِّسالة، هٰذه الأحاديث الآتية إن شاء الله المشتملة علىٰ أصولٍ عظيمة من أصول الإيمان والعبادة، والعمل والعلم.

فنسأل الله جَلَّوَعَلَا أن ينفعنا بما نسمع ونقول، وأن يرزقنا إخلاص العمل في ذلك كله.



الْحَدِيثُ الأَوَّلُ

عَنْ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْـخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بالنِّيَّـاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ فَهِجرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا؛ فَهِجْرَتُهُ إِلىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

رَوَاهُ إِمَامَا الْـمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْنِ إِسْمَاعِيل بْن إِبْرَاهِيم بن الْـمُغِيرَة بْن بَرْدِزْبَهْ الْبُخَارِيُّ الْـجُعْفِيّ، وَأَبُو الْـحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْـحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحّ الْكُتُبِ الْـمُصَنَّفَةِ.

هذا الحديث حديث «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ» حديث عظيم، وهو أحد الأحاديث الأربعة التي قيل: أنّ عليها مدار فقه الإسلام وعلم هـٰذا الدِّين، هـٰذا الحديث و «مَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ»، «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لاَ يَرِيبُكَ»، «الـدِّينُ النَّصِـيحة».

هـٰذا الحديث العظيم له شأنٌ في عمل الإنسان وتعامله مع عباد الله، فالأعمال المُعتبرة للآخرة لا وَزْن لها إلا إذا صاحبها شرطان:

الأول: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله.

والثاني: أن يكون العمل موافقا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ» إذا عمل الإنسان عملًا ولم يكن في قلبه أنه يريد به وجه الله، إن كان في أمور تترتَّب عليها أحكام دنيوية ترتبت الأحكام الدنيوية عليها، وما بيْنه وبين الله جزاؤه عند الله؛ لأن العباد ليس إليهم معرفة السَّرائر ومعرفة مقاصد القلوب؛ لأن هـٰذا ممَّا اختصّ به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الأعمال التي تنفع عند الله جَلَّ وَعَلَا هي التي صاحبتها نية صالحة، وكانت موافقةً لسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ما وافقها فقد وافق مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وجاء في الحديث أُشيرَ إلىٰ سبب هاجر ليتزوج امرأة يقال لها: أم قيس، علىٰ ما قيل في ذلك، فكان يقال له: مهاجر أم قيس، وتسمية المرأة؛ الدُّنيا كلها متاع ومتاعها شهوة البطن والفرج.

شهوة البطن ما يتعلَّق بمكاسب الدنيا من أموال علىٰ اختلاف أشكالها.

وشهوة الفرج ما يتعلَّق بالنكاح.

ما كان من العمل لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فجزاؤه عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، قد يجمع للعبد جزاءً دنيويًا وجزاء أخرويا.

وما كان لأمور الدنيا فليس له إلا ما أراد.

وقوله: «**كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ**» لم يحدِّد ثواب ذلك بحدٍّ يُعرف بحيث لا يتجاوزه، وما كان لله جَلَّوَعَلَا وما كان للدُّنيا فقد بينه «**فَهِجْرَتُهُ إِلىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**» من مطالب الدُّنيا، أما مطالب الآخرة فقد يجمع للعبد فيها وما قصده تحصيل الدُّنيا وتحصيل الآخرة، وحصول ذلك يختلف باختلاف همم العاملين وآثارهم؛ لأنَّ العمل قد يؤدىٰ تأدية متساوية من أكثر من واحد؛ لكن تختلف أجور هـٰذه الأعمال تبعًا للإحسان الظاهر والإحسان الباطن، الإحسان الباطن هو ذروة الإيمان.

ولأنَّ المطلوب في هـٰذه اللقاءات أن تشتمل المجالس علىٰ إنهاء كتاب الأربعين في هـٰذه الأيام لا أطيل الكلام المردد.

فالخلاصة في «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ**» هو أنَّ الإنسان ونيته؛ إذا كانت نيته نية مباركة صالحة حصل له الخير العظيم مع الشرط اللازم؛ وهو: المتابعة الصادقة.

فنسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يرزقنا جميعا خالص النية وصادق المتابعة لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.



الْحَدِيثُ الثَّانِي

عَنْ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَيْضًا؛ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ.

وَقَالَ: يا مُحَمَّدُ؛ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ؛ فَعَجِبْنَا لَهُ: يَسْأَلُهُ ويُصَدِّقُهُ!

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

ثُمَّ انْطَلَقَ. فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الحديث الأول عن النِّية التي هي مبنىٰ وأساس الأعمال، فيأتي هـٰذا الحديث -وكلا الحديثين من رواية الخليفة الرَّاشد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- يأتي هـٰذا الحديث المشتمل علىٰ بيان أصول الإسلام والإيمان والإحسان والخبر عن السَّاعة.

جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ جاء في صورة رجل، وكان كثيرا ما يأتي بصورة دحية الكلبي الصحابي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لكنه في هـٰذه المرة لم يكن بصورة دحية، وإنما جاء بوضعٍ لم يعرف الصحابة من هـٰذا الشخص، (شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ)، قوله: (شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ) من لازمه أنه لا يكون عليه أثر السفر؛ لأن الأسفار في ذلك الزمن تؤثر في الملابس، فأكد

الأمر زيادة فقال: (لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ)، ومن لازم أنه (لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ) أن يكون الصحابة يعرفونه؛ لكن مع ذلك يقول: (وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ) ربَّما لفت أنظارهم؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه له الهيبة التي لا تعرف من البشر لأحد من البشر، كما في قصة ابن مسعود الثقفي يوم الحديبية؛ لكن الرجل جاء وأسند ركبتيه إلىٰ ركبتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ دنىٰ منه (وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يا مُحَمَّدُ) ولم يقل: يا رسول الله.

فسأل عن الإسلام، وكما هو معروف أنه إذا جاء ذكر الإسلام والإيمان في مقام واحدٍ؛ فالإسلام متعلق بالأعمال الظاهرة التي يراها النّاس ويسمعونها؛ فلما قال: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» والشَّهادتين هما المدخل لهذا الدين، فلا دين لمن لا يشهد ألا إلـٰه إلا الله وأن محمد رسول الله، ولا ينفعه أي عمل يؤديه؛ علىٰ اختلاف أشكاله وضخامته أو قلته.

فالشهادتان هما مدخل الدِّين، هو البوابة التي من لم يدخل معها لم يدخل لهذا الدِّين.

والشهادتان مستلزمتان لتوحيد العبادة الذي لأجله أُرسلت الرُّسل كلها، عامة الناس لا يجحدون توحيد الربوبية، وإن تظاهروا بجحده فهم في قرارة أنفسهم موقنون به؛ لكن توحيد العبادة هو محلّ الإرسال.

فشهادة ألا إلـٰه إلا الله؛ يعني: أنه لا معبود، والمقصود لا معبود بحق إلا الله.

وشهادة أن محمدا رسول الله؛ الأمور لا تبلغ الناس ممَّن له الأمر والنهي والتبليغ إلا عن طريق من يبعثه إليهم، فإذا شهد الناس أنَّ محمدا رسول الله شهدوا أنه المبلِّغ عن الله، وأنَّ الدين إنما هو ما يأتي عن طريقه.

وهـٰذا هو الركن الأول من أركان الإسلام، كما يأتي في حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال: (وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ) وإقامة الصَّلاة أمر أخص من أدائها؛ لأن إقامة الصلاة أن تؤدَّىٰ علىٰ الوجه الأكمل حسب الاستطاعة، أن تقيم الصلاة، لما جاءت الزكاة -والزكاة محددة- قال: (وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ) لأن الزكاة إنما هي بذل يبذله الإنسان إلىٰ من حقه وإليه قبضها من فقير أو ولي أمر؛ قال: (وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ).

فالشهادتان والصلاة والزكاة هـٰذه الأركان الثلاثة من الأعمال الظاهرة؛ هي: التي يُعصم بها دم الإنسان، من شهد ألا إلـٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأقام الصلاة، وآتىٰ الزكاة عصم نفسه وماله إلا

بحق الإسلام. بهذه الأركان الثلاثة تتحقَّق العصمة.

والركنان من أركان الإسلام: الصيام والحج لا ينظر إليهما ابتداء في تحقيق العصمة؛ لأن الحج قد يتخلف الإنسان عن أدائه فترة، والصيام قد يأتي ولا يصوم لعلة تقوم به؛ لكن لو أنكر وجوب الحج أو أنكر وجوب الصيام وقال: لا داعي له. هنا يأتي الأمر الآخر الذي يرتبه حكم إنكار ذلك.

لما أنهىٰ جبريل هـٰذا السؤال وهو سؤال مستفسر؛ قال: (قَالَ: صَدَقْتَ) فثار عجب الصحابة، رجل لا يرىٰ عليه أثر السفر، ثم يسأل عن أمور لا يتوقعون أن يعلمها أحد إلا عن طريق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهم أصحابه الذين جاءوا معه من مكة، وقلّ أن يخفىٰ عليهم سؤال أحد عن أمر الدِّين بمثل هـٰذه السورة ثم لا يعلمونه؛ بل لو قيل: إن ذلك في ذلك الوقت متعذر لصح، ومع ذلك يقول: صدقت؛ لأن شأن من يقول: صدقت للمتكلم أنه عالم بما سأل عنه.

ثم سأل عن الإيمان، فذكر أركان الإيمان.

هـٰذه الأركان الخمسة هي الأعمال الظاهرة؛ وهي: التي يقاتل الناس لأجل القيام بها، ويتم القتال لإلزام الناس بها إذا كان هناك دولة تقيم هـٰذا الأمر وتذود عنه وتدعو إليه.

النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يقول في الحديث الصحيح الآخر: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَلا إِلَه إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا منيّ دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ الله**»، وفي قصة معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لما بعثه إلىٰ اليمن، قال: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إلـٰه إلا الله وأني رسول الله**» إلىٰ آخره.

الأركان الثلاثة هي التي يقاتل الناس ليقوموا بها، عندما يكون للإسلام صولة وجولة، ويكون أهله حاملين المعنىٰ الذي به يذودون عنه ويدافعون وينشرون الخير والفضل.

وبالمناسبة فإن الإسلام لم يأتِ بالقتال هدفا أساسيا من أهدافه، وإنما الأهداف الإسلامية أن يُعبد الله وحده لا شريك الله، وإذا أراد أحد أن يقف في سبيل الدعوة، وأراد أن يمنع مسيرتها شُرع القتال لإفساح المجال، ولهذا المسلمون لم يُلزموا أحدا ممن دخلوا بلاده بأن يعتنق الإسلام، والأمم التي أسلمت إنما أسلمت طواعيةً، وإنما كانوا يمهدون السبيل ويفتحون الطريق لتبليغ رسالة الإسلام، وبيان الرَّحمة في شريعة ربِّ العالمين.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ») أن تؤمن بوجوده، الذي من لازمه أنه إلـٰه الخلق ومالكهم، وإليه أمرهم، وهو المدبِّر لأمورهم، وهو مالك الملك، (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ) إيمان المُوقن بأن

الأمر كله له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(وَمَلَائِكَتِهِ) الذين أخبر عنهم، وجعلهم سفراء بينه وبين عباده، وفيما يوصلونه إليهم من خير، وما قد ينزلونه بهم من عقوبة إذا اقتضىٰ أمر الله جَلَّوَعَلَا إنزالها، كما حدث في قوم لوط وعاد وثمود وفرعون، ومن قصَّهم الله جَلَّوَعَلَا علينا في كتابه الكريم.

نؤمن بالملائكة كما عرفنا، بمن عرفناه منهم، من سماهم الله جَلَّوَعَلَا في كتابه، أو سماهم النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونؤمن بمجملهم «**أطَّت السماء وحق لها أن تئط...**»، إلىٰ آخره، «**إن لله ملائكة سيارة جوالة..**» إلىٰ آخره، كل ما جاء عن النبي عَلَيْهِالصَّلَاةُوَالسَّلَامُ في صحيح الخبر عن الملائكة نؤمن به، والله يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١].

(وَكُتُبِهِ) نؤمن بكتب الله التي أنزلها علىٰ أنبيائه ورسله ليبلغوها إلىٰ عباده، ما عرفناه من الكتب نؤمن به علىٰ ما سمي، وما لم نعرف نؤمن بأن لله كتبا منها ما بلغنا ومنها ما لم يبلغنا، ما أعطينا من العلم ممن سبقنا إلا ما نحتاج إلىٰ معرفته فقط؛ لأنه ما من أمة سلفت إلا وبعث الله لها نذير ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

(وَرُسُلِهِ) نؤمن بالرسل الذين ذكرهم الله جَلَّوَعَلَا في كتابه، أو ذكرهم نبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونصدِّق ونجزم بأن هٰؤلاء الرسل والأنبياء وُجدوا حقيقةً لا شك فيها؛ لأن ما بلغنا بصحيح الخبر عن سيد البشر صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علينا أن نؤمن به، وأنه حقٌّ لا مرية فيه. لنعرف أسماء من ذكرهم الله في الكتاب الكريم أو ذكرهم النبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وهو يوم البعث، وهو الذي يحمل من آمن به علىٰ العمل، لولا الإيمان بالبعث لتعطَّلت أمور كثيرة، الناس إنما يعملون ليستجلبوا خيرا أو ليدفعوا شرًّا، ليستجلبوا ثوابا وأجرًا وتنعُّمًا يلقونه يوم لا ينفع مالا ولا بنون، أو ليدفعوا بلاء وأهوالًا وأخطارًا.

فلولا وجود الجنة والنار ما اهتم الناس بالعمل الذي يتَّقون به النار أو يستجلبون به أسباب دخول الجنة. النبيّ يقول: «**فاتقوا النار ولو بشقِّ تمرة**» الإيمان باليوم الآخر يؤمن الإنسان أنه سيُبعث لماذا يبعث؟ لأجل الحساب، ما دام أنه هناك حسابا فلابد من الاستعداد للامتحان.

«وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» والإيمان بالقدر؛ وفيه حصلت مزلاّت الأقدام، وحصل الاختلاف والضلال المبين، وإنَّ من رحمة الله جَلَّوَعَلَا بهذه الأمة التي وصفَها ربها أنها خير أمة أخرجت للناس، أن جميع الأمور الخطيرة في الاعتقاد، أو في أنواع الجنايات والمخالفات حدثت في الصَّدر الأول، في عهد

الصحابة، وبعضها في عهد رسول الله ﷺ، وهـٰذا من رحمة الله بهذه الأمة ليتولّىٰ حل المشاكل العظام والنظر في الملتبسات من الأعمال والأقوال من تلقوا النور الإلـٰهي عن محمد ﷺ، فعندهم صفاء القلوب وفقه النفس ومعرفة مقاصد الشريعة في كتاب الله وسنة نبيه، فتكلّم الصحابة في أمر الإيمان بالقدر أن تؤمن بالقدر خيره وشره، تؤمن بأنه لا محيد لك عن أمر الله وقضائه، وعليك أن تعمل، لما قال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له**».

في هـٰذا الحديث في نهاية سؤال الإيمان (صَدَقْتَ) فلابد أن الصحابة تعجبوا كما تعجوا في سؤال الإسلام.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ») من شأن من يؤدي عملا يعلم أن صاحب العمل يراه وينظر إليه، وأنه عالم بخلفية ذلك العمل وما يحتاج إليه يسعىٰ لإتقان العمل الذي يقوم به لينال جزاء وأجر ذلك العمل، وليدفع باجتهاده وجُهده محاسبته أو معاقبته إذا أخل. قال: الإحسان «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

في آخر الحديث لما سأل عن الساعة، قال ما معناه: مالك ولها؛ (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ) أي: كلانا لا يعلم الساعة، فما قال: بلىٰ أنت تعلمها، أو قال: لا، أنا أعلمها. قال: (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا) علاماتها، (قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ») في حديث أبي هريرة المخرَّج في «الصحيحين»؛ لكن ليس بهذا الطول، قال: «**في خمس لا يعلمهن إلا الله**»، ثم تلا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ [لقمان:٣٤]، إلىٰ آخر الآية.

يقول عمر: (فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟») الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا علىٰ أكمل صفات طالب العلم أدبًا وإجلالا لرسول الله ﷺ، ولا يتقدَّمون بين يديه في شيء من قول أو عمل إلا إذا علموا أنه يحبُّ ذلك الشيء منهم. فقال عمر: (اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»).

هـٰذا الحديث اشتمل علىٰ الدين كله الإسلام والإيمان والإحسان وما يتعلق بالساعة للاستعداد لها؛ لأن السؤل عنها ليس لمجرد الإطلاع والمعرفة، ولهذا سمىٰ النبي ﷺ هـٰذا المجال والمساءلات سماها تعليم الدين، فسأل عن الساعة، السؤال عنها يقتضي الاستعداد لها، كما قال ذلك

الرجل للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: متىٰ الساعة؟ قال: «**وما أعددت لها؟**» لأن الشأن في الشيء إذا سئل عنه أن يكون السائل يعد عدة لذلك المسؤول عنه، قال: ما أعدت لها من كبير عمل غير أني أحب الله ورسوله. قال: «**المرء مع من أحب**».

هـٰذا الحديث الهام العظيم هو في الحقيقة يشتمل علىٰ الدين كله في ظاهره وباطنه؛ يعني علىٰ أعمال الجوارح وأعمال القلوب، والإيمان عن ما أخبر الله أو أخبر عنه رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والإيمان بأن الساعة آتية لا ريب فيها؛ لكن متىٰ تكون ﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةً﴾ [الأعراف:١٨٧]، ما العلامات. النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من علامات الساعة قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**».

والعلامات التي ذكرها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لجبريل تكاد أن تكون مضت كلها، الصحابة فتحوا الفتوح، وتسرىٰ الناس بالمسريّات، ثم ولدت تلك المسريات أبناء أسيادهن، فصار ابنها سيدها، وكان ذلك يوم كانوا مسلمين غزاة غير مغزوِّين، يوم كانوا سادة غير مسودين، يوم كان الرهب يسبقهم، لأنهم حملوا هـٰذا الدين في وقت طراوته وغضاضته واستمر غضا طريا؛ ولكن ضعف الحاملون له.

ونسأل الله أن يعز دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه، وأن يرينا في أمتنا وفي بلادنا وبلاد المسلمين ما يسعد له ويفرح به كل مؤمن ويشقىٰ به كل كافر ومنافق، والله جَلَّوَعَلَا الفعال لما يريد.



الْحَدِيثُ الثَّالِثُ

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَـٰن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث ومن المصادفات التي قد لا تكون مقصودة، أن هـٰذه الأحاديث الثلاثة المتوالية ذكرها الإمام النووي عن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابنه عبد الله، وكلها تتعلق بأساس العمل وبالأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة.

هـٰذا الحديث –حديث عبد الله بن عمر– فيه بيان أن هـٰذه الأعمال أركان الإسلام، والركن لا يتم البناء إلا به، لمن يقدر أن يقيم هـٰذا البناء، وأمَّا من عجز عن ركن عجزا استحال عليه أداؤه فالله جَلَّ وَعَلَا عفو كريم.

(شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) كما مرّ هما أساس الدين، ولا يقال فيهما يكفي أن الإنسان يعتقدهما بقلبه، لا يكون مسلما ولا مؤمنا إلا أن ينطق بالشهادتين، ولذلك ترتّب أمرهما بالصلاة، لا تكون صلاة إلا إذا اشتملت الصلاة علىٰ الشهادتين.

(وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) كما مرّ أداؤها ليس مجرد الأداء، إنما الإقامة؛ أي تكون قائمة أي كاملة البناء.

(وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) كما فرض الله جَلَّ وَعَلَا الأصل أنها كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث معاذ: «**وأخبرهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم**» ثم قال: «**فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم**»، فأداء الزكاة أصلها تؤدىٰ للفقراء؛ لكن يجوز أن تؤدىٰ للسلطة إذا طلبتها، أو لم يعلم مالك المال أهلها المستحقين لها، فإذا دفعها للسلطة القائمة بأمر الله تبرأ ذمته.

في حديث عبد الله بن عمر قدّم الحج علىٰ الصيام؛ لأنه قال: (وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) وبقية الأحاديث التي جاء فيها ذكر الأعمال يأتي الحج بعد الصِّيام، وترتيبه بعد الصيام لما له من التراخي المرتبط بعدم القدرة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران].

هٰـذه الأركان الخمسة هي أركان الدين، هي واضحة في حديث جبريل؛ لكنها هنا أكثر وضوحا (**بُنِيَ الإِسْـلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ**) فهي دعائمه وأركانه وما زاد من جنسها فهي من نوافل الطاعات كما في حديث الولي «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه**» فما من ركن من أركان الإسلام إلا وهناك نوافلٌ، هناك أساسيات لا يتم عمل إلا بأدائها، وهناك نوافل طاعات وصلوات وزكاة وصدقات وصيام تطوع وحج تطوُّع، وكلها مما ينمي الإيمان ويقوِّيه، ويحصل به الخير الكثير للعامل وللأمة الإسلامية، ولعلنا نأتي علىٰ حديث آخر:



الْـحَدِيثُ الرَّابِعُ

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْـمَـصْدُوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا [نُطْفَة]، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْـمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَوَ [الله] الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».

رَوَاهُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا حديث هام يتعلَّق بأمر الأعمال بالخواتيم، ونفوذ قضاء الله وقدره وتدبيره لكونه، لعل الحديث عنه يتأجَّل إلىٰ الجلسة التالية إن شاء الله، ولعل بعض الأسئلة أو ما يُنقل من أسئلة أنفع أن نختصر الكلام ونرىٰ أن الأذان ليس ببعيد.



بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد الأولين والآخرين، سيدنا ونبينا محمد وعلىٰ آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد،

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يفقهنا في ديننا، وأن يصلح لنا أعمالنا وأقوالنا، وأن يهيئ لنا ولأمتنا من أمرنا رشدا، وأن يعاملنا بعفوه وأن يستعملنا بطاعته، وأن يعيننا علىٰ ما كلفنا به، ويعظم أجرنا ومثوبتنا، ويدافع عنا بمنه ولطفه إنه مجيب الدعاء. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد.



الْـحَدِيثُ الرَّابِعُ

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْـمَـصْدُوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا [نطفة]، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْـمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَوَ [الله] الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».

رَوَاهُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث الصحيح حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أحد علماء الصحابة وكبرائهم وفقهائهم، أثنىٰ عليه النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بيَّن فيه المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حال الإنسان في أول بداية أمره عند اجتماع الأبوين علىٰ بدء احتمالات تكوين هـٰذا الإنسان، وقد ذكر الله جَلَّوَعَلَا بدء خلق ابن آدم ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦﴾ [الطارق]، هذا بدء خلقه الثاني.

أما بدء خلقه الأول فذكر الله جَلَّوَعَلَا أنه خلق آدم من ترابٍ، يبيِّن فيه صلوات الله وسلامه عليه أن النطفة إذا وقعت في الرحم مكثت أربعين يوما نطفة، ثم مكثت أربعين يوما علقة، ثم أربعين يومًا مضغة، هـٰذا إذا كانت ستكون مخلَّقة؛ لأنه جاء في الحديث الآخر أنها عندما تقع في الرحم يقول الملك: مخلقة أو غير مخلقة؟ وذلك في حديث عبد الله بن مسعود، فإذا وقعت لتكون مخلقة جلست هـٰذه الأطوار الثلاثة: نطفة، علقة، مضغة، ثم يكلف الملك بما نص عليه هـٰذا الحديث والله جَلَّوَعَلَا قادر علىٰ أن يخوِّل ذلك كله دون بعث ملك؛ لأنه جَلَّوَعَلَا إنما أمره إذا أراد شيء أن يقول له: كن؛ فيكون، جاء ذلك في القرآن الكريم كما في خلق السمٰوات والأرض ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾ [فصلت].

(**يُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ**) الرزق هل سيكون غنيا أم فقيرا، كل ذلك فُرغ منه، أجل هذا المخلوق متىٰ سيكون، قد حدد وقضي في الأزل العمل، الله خلقنا وهو يعلم ما سنعمل، هذه الأحوال الثلاثة: الرزق، الأجل، العمل؛ هذه كلها ميدان العمل، ثم نتائج ذلك الشقاء أو السعادة؛ ما الرزق؟ وما الأجل؟ وبأي أرض يموت؟، ويسأل ملك بأن يرجع إلىٰ أم الكتاب التي

اشتملت علىٰ كل شيء، وفي حديث عمران بن حصين «**الله كتب كتابا قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة**»، أودعه كل شيء، وهو جَلَّوَعَلَا قادر علىٰ أن يقدر كل شيء دون أن يضع ذلك في كتاب؛ ولكن أمره كلَّه حكمة وعدل وكمال لا اعوجاج فيه.

يقول المصطفىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يقسم- وهو مصدَّق ولو لم يحلف، وأبو عبد الرحمـٰن عبد الله بن مسعود عندما قال: (وَهُوَ الصَّادِقُ الْـمَـصْدُوق) ليُزيل احتمال فهْمٍ أنه حلف خشية ألا يصدَّق في مقاله، فقال: (حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْـمَـصْدُوق) أي أنه صادق فيما يقول لا يحتاج إلىٰ أن يحلف؛ لكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤكِّد الأمر بالحلف كما يقول: والذي نفسي بيده.. وأمثال ذلك، فيحلف أنَّ الإنسان «**يعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليها الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**»، الأعمال بالخواتيم، إنما الأعمال بالخواتيم؛ أي: العبرة بما يختم للمرء فيه من العمل.

ولهذا جاء في الحديث الآخر عن رجل في إحدىٰ الغزوات لا يترك شاذة ولا فاذّة إلا اهتم بها، وهو خلف القوم، وأبلي بلاء أعجب الصحابة به، فلما أثنوا عليه عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيح قال: «**هو في النّار**» أمام ملإٍ منهم، فقال أحد الصحابة: لأحفظنّه؛ أي: لأقوم بمتابعته حتىٰ أنظر كيف يفعل. فأصابت الرجل جراحة وكأنها مُثخنة فلم يصبر علىٰ قضاء الله وقدره فوضع عقب سيفه علىٰ الأرض وذبابه في صدره واتكأ عليه حتىٰ خرج من ظهره، فجاء المتتبِّع له، وقال ما رأىٰ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقال: «**أشهد أني رسول الله**»؛ لأنه أخبرهم أنه في النار، فلما قتل نفسه أكّد لهم الشهادة بأنه رسول الله؛ أي أنه لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ.

فالعبرة بالخواتيم، ولهذا يسأل عبد ربه أن تكون خاتمته خاتمة حسنة.

واختلف العلماء كيف يعمل الإنسان العمل الصالح، ثم لا يُحفظ بعمله؟

قيل: إنه قد يعمل العمل كما في حديث في رواية أخرىٰ «**ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس**» وقد لا يكون كذلك؛ لكن قوله: «**فيسبق عليه الكتاب**» يدلّ علىٰ أنه قبل يسبق عليه هـٰذا الفعل الذي قُضي في الكتاب ما كان كذلك.

وإنما علىٰ الإنسان أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ولهذا كان المصطفىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك**» فلما قيل له: أتخاف وأنت رسول الله؟ قال: «**ومن يؤمِّنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمـٰن**».

هـٰذا حديث الهام فيما يتعلق بالعمل، وأن الإنسان لا يغتر بعمله، قد يعجب المرء بعمله وكثرة عبادته فيأخذ منه الغرور كل مأخذ، ثم يقول: لماذا أكون في هـٰذه الحال، وهـٰذا جدي واجتهادي، ومع ذلك يُصرف عني ما أطلب، ويعطىٰ لمن ليسوا مثلي فيمتنُّ علىٰ الله بعمله، والعُجب والامتنان علىٰ الله يحبط العمل؛ لأنه ما من توفيق في عمل صالح إلا نعمة من الله ينعم بها علىٰ العبد تستدعي شكر المنعم عليه، إذا ذكر الإنسان الله جَلَّوَعَلَا فهـٰذا فضل من الله عليه؛ نعمة عظيمة تستدعي شكرها، ولهذا لا يفتر المؤمن عن شكر وتكرار لذلك وحمد وثناء علىٰ الله، فهو يرىٰ أن كل توفيق منة ونعمة تستدعي أن تواجَه بالشكر للمنعم جَلَّوَعَلَا.



الْحَدِيثُ الْخَامِسُ

عَنْ أمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَٰذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، [وَقَدْ عَلَّقَهَا الْبُخَارِيُّ].

هٰذا الحديث الهام الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه رسم لمجال العمل وأنه لا يتقرب إلىٰ الله جَلَّ وَعَلَا إلا بما شرعه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا كان من معاني شهادة أن محمدا رسول الله ألا يعبد الله إلا بما شرعه رسول الله كما ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في «الأصول الثلاثة»، ومعنىٰ شهادة أن محمدا رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهىٰ وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع، «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» من أراد أن يتقرب إلىٰ الله بشيء لم يشرعه رسول الله فالعمل مردود عليه، يوضّح هٰذا الرواية الأخرىٰ (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا)؛ لأن الرواية الأولىٰ قالت: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا).

الروايات الأخرىٰ تبين أن المقصود حتىٰ لو أحدث العمل غيره، علىٰ حال المناسبة؛ لأننا في شهر ربيع وشهر ربيع فيه يوم المولد، من كان يشترك في الموالد ويقول: أنا لم أحدث هٰذه الموالد، ولم أشترك في إحداث المولد، ولكن أحدثه الأولون فأنا ما أحدثته، يقال له: تحقيق ذلك (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) أي: أن هٰذا الرد يشمل عمل من أحدث العمل ابتداء، ويشمل عمل من اقتدىٰ بغيره إذا لم يكن العمل الذي أحدثه غيره عليه أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن العبادة كما يقول العلماء: أمر توقيفي، لا يتعبد الإنسان لربه جَلَّ وَعَلَا بما شاء وما رأىٰ، إنما يتعبد لله جَلَّ وَعَلَا بما جاء في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا أو عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يُتقرب إلىٰ الله ويتعبد إلا بما شرعه المولىٰ سبحانه في كتابه أو علىٰ لسانه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهٰذا الحديث كافٍ في منع البدع علىٰ اختلاف أشكالها، بدع العبادة.

وأما بدع الاختراع والبناء وأنواع الخِدْمات التي تُستحدث فليست مقصودة بذلك، إنما المقصود بالبدع وأنها ضلالة هو ما كان من بدع عبادية؛ لأن الدين كمل فلا حاجة للناس أن يبتدعوا فقد قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فدين كمل لا يحتاج إلىٰ إضافات، الله أعلم بما

يحتاج إليه العباد في أمور معاشهم ومعادهم وحياتهم وعباداتهم، وتعظيم السُّنّة والاستكفاء بها مع كتاب الله جَلَّوَعَلَا؛ لأنها تبيان لهذا الكتاب، هو السعادة في الدنيا والأمن في مسيرها، والسبب العظيم في نيل الدرجات التي أعدها الله لأوليائه.



الْـحَدِيثُ السَّادِسُ

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ الْـحَلَالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الْـحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْـحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

هـٰذا الحديث الهام الذي هو من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، يبيِّن فيه المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّ ما يحتاج إليه العباد حاجةً ملحة بيِّن لا خفاء به، وما يضر ضرر لا إشكال فيه فهو بيِّن لا خفاء به، وهناك ما هو بين ذا وذاك، لا يعرفه إلَّا خاصة الناس من رزقوا البصيرة في الدِّين والفقه فيه.

(**الْـحَلَالَ بَيِّنٌ**) ما يحتاج الناس إليه حاجة ملحة لا استغناء لهم عنه؛ من مآكل ومشارب وملابس ومكاسب بيِّن، يشترك في معرفته عامة الناس.

والحرام الذي لا مجال للتجاوز علىٰ حدوده بيّن، أكل الأموال وسلب أموال الناس بدون رضاهم، وما يدور في هـٰذا الفلك بيِّن، وأكل ما نص عليه القرآن والسنة من الذبائح المحرّمة اللحوم المحرمة بيِّن.

وهناك أمور تخفىٰ علىٰ كثير من الناس.

أي أن الأشياء ثلاثة أقسام:

- قسمٌ حلال لا إشكال فيه.
- وقسمٌ حرام لا إشكال فيه.
- وقسم لا يستبين أمره إلا خاصة الناس.

هنا يأتي أمر التورُّع «**دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك**»، يترك المرء ما أشكل عليه، وما التبس عليه أمره؛ لأن فيما لا التباس فيه ولا إشكال غُنية عن الوقوع فيما أشكل، ومن لم يتهيّب بالتورع يوشك أن تزل به القدم فيجتاز.

(إِنَّ الْـحَلَالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الْـحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ) من جعل بينه وبين ما اشتبه وقاية ما يجتاز إليه، ولم يجعل الله عليه حرجا في دينه، لم يبق في موقف حرج لا تنحل أموره ولا تنقضي حاجاته إلىٰ ضرورياته إلا بالمشتبهات؛ بل يسّر الله علىٰ عباده (فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ) منع النفس أن تزِلّ إلىٰ ما لا تتيقن سلامته (اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ) صان دينه أن يقع ويأتي عملًا يُرد عليه، وقد يكثر المرء العمل، ولكن لا يكون علىٰ هدىٰ فإذا رد عليه صار من المفلسين؛ لأن هـٰذه الأعمال في الدنيا تجاراتٌ ومرابحة، من كانت متاجرته متاجرةً سليمة صارت نهايتها رابحة، ومن كانت خلاف ذلك كانت نهايته نهايةَ المفلسين (فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ) أخذ البراءة لدينه فلم يرتكب ما حرم الله عليه، وأخذ البراءة لعِرضه فلم يتحدث الناس عنه بأنه جريء علىٰ ما حلَّ وحرم، ولا أنه متثبِّت ومستبصر؛ بل يقال عنه: هـٰذا الحلال وما حلَّ بيده والحرام ما حُرم الوصول إليه.

(وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْـحَرَامِ)، ثم يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ) يمثّل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للناس أمثلة يعلمونها ويعرفونها من واقع حياتهم فعامَّة أصحابه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكثيرٌ ممن يأتي بعدهم أرباب ماشية، ترعىٰ في مباحٍ، وقد ترعىٰ في مباحٍ بجانبه ما هو ممنوع، فإذا كان الرَّاعي، راعي الماشية حازما يقظا تجنب محارم الممنوع (كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ)، فملوك الدنيا لهم حماهم؛ ما يمنعون الناس منه، (حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ) التي حرمها علىٰ العباد، من دنا حولها أوشك أن تتطلَّع نفسه إلىٰ ما وراء الحد، فإن ردع النفس وردها لتقف عند حدود الله سلم، وإن جمحت النفس والنفس جمّاحة جرَّته إلىٰ المهالك وأوردته موارد الرَّدىٰ.

(أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ) كيف يمكن أن يصون المرء نفسَه، عند المرء جهاز إن صلح واستقام أمسك الجماح عن التجاوز.

(أَلَا وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) هـٰذا القلب الذي قال الله عنه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩]، هـٰذا القلب إن صلح إن كان عامرا بالإيمان = أثمر الإيمان مخافة الله؛ فعقله عن التقدم إلىٰ ما لا يحل له التقدم إليه، وصلاح هـٰذا الجهاز (القلب) بالإكثار من الطاعة عن طريق اتباع السّنة، واللَّهَجِ بذكر الله ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، والإكثار من التوبة؛ لأن الذنب يسبِّب مرض القلب، وعلاج القلوب من أمراضها الإقلاع عن الذُّنوب

والإكثار من التوبة والاستغفار، والموفَّق من وفّقه الله.

والمصطفىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنّه قد غفر الله له ما تقدَّم له من ذنبه وما تأخر يعدّ الصحابة له في المجلس الواحد من الاستغفار أكثر من مائة مرّة، ويتوب في اليوم أكثر من مائة مرة، وكما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: ما أنتم إلا من نبيكم وما نبيكم إلا منكم. فيحتاج الناس لأن يحسنوا الاقتداء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إن الإكثار من الاستغفار من أعظم أسباب تيسير الأمور -أمور الدنيا- وتحصيل مطالبها، يقول الله جل من قائل: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح]، فالموفق من أخذ بأسباب السلامة. فنسأل الله أن يحقق السلامة لنا جميعا.



الْـحَدِيثُ السَّابِعُ

عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ».
رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هٰذا الحديث حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيّن فيه رسول الهدىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانة النصيحة في الدين، وأنها الدِّين كله، (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) وكررها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات وهو يخاطب أصحابه، فشيء هو الدِّين ويؤكده الرسول المصطفىٰ ثلاث مرات، أحبَّ صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعرفوه فقالوا: (لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»).

فالنصيحة لله جَلَّ وَعَلَا هي الإيمان به، وأنه ربُّ هٰذا الكون وخالقه، وأنه المستحقُّ لأن يعبد وحده وألا يشرك معه؛ كما في حديث معاذ: «**أتدري ما حق الله علىٰ العباد؟**» لمّا قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله علىٰ عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا**»، فالنّصيحة هي الخلوص أن يسلم الإنسان أمره لله، ويُخلص له في العبادة، ويؤمن بوجوده وهيمنته علىٰ خلقه وإطِّلاعه عليهم وتدبير شؤونهم، وأنَّ الأمر كله له، إلىٰ كل ما يتعلّق بالإيمان بأسمائه وصفاته وتدبيره وقضائه وقدره، وما يوجده وما أوجده، وما أوجد من ملائكة وما أرسل من رسل... إلىٰ غير ذلك.

والنَّصيحة لكتابه جَلَّ وَعَلَا الإيمان بأنه كلام الله، وأنّه أشرف كلامٍ وأجلُّه، وأنه الذي لا يضاهيه كلام، وأنّ فيه أصول كل ما يحتاج إليه الخلق من أصول العبادات والمعاملات وأخبار الماضين وأخبار ما يكون الناس إليه، وأنَّ العدل كله فيما دلّ عليه القرآن والسنة.

ومن النصح له التلذذ بتلاوته، والوقوف عند حدوده، والائتمار بأوامره، والتأدب بما اشتمل عليه من الآداب التي لا شيء مثلها ولا أكمل منها.

والنّصح لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بأنه رسول الله، وأن الله أرسله رحمة للعالمين، وأنه قام بهذا الدِّين حق القيام، وأنه ترك الأمة بعد أن أبان لها كل ما تحتاج إليه في مسيرتها في حياتها إلىٰ أن يدخل الناسُ منازلهم؛ السعداء في الجنة، والأشقياء في النار، نسأل الله جَلَّ وَعَلَا السلامة من هٰؤلاء، وأن نكون من أولئك.

وبقية الحديث النَّصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم.

فالنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم علىٰ أداء ما يحقِّق مصلحة الأمة، والتعاون معهم في ذلك، والدُّعاء لهم بالتوفيق إذا لم يستطع مناصحتهم وجها لوجه، وأن يسأل الله لهم بأن يحقِّق بهم الخير لعباد الله، ويصد بهم الشر عنهم، وأن يمنحهم السَّداد في الأمر بما يرضي الله، ويعينهم علىٰ تحكيم كتاب الله وسنة نبيِّه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه لا يتم للإنسان إيمانٌ حتىٰ يكون ناصحًا لمن ولَّاه الله الأمر، ولذلك يؤكد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**والنُّصح لمن ولاه الله أمركم**»، فالنصح له بيان الحق له ودعوته للقيام به، ومعاونته في أدائه، والدعاء له بالتوفيق في سلوك الطريق المؤدِّي إلىٰ مرضاة الله.

والنصيحة لعامة المسلمين بيان ما يحتاجون إلىٰ بيانه، وإعانتهم فيما يحتاجون إلىٰ الإعانة به، ومما بايع به النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بعد أصول الإسلام، قال: «**والنُّصح لكل مسلم**».



الْـحَدِيثُ الثَّامِنُ

عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَـهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث مشتمل علىٰ ما يحقِّق حرمة المسلم.

وأما يتعلق بحرمة المسلم فإنَّ الأصل حرمة المسلم؛ لكنه قد تحل هـٰذه الحرمة إذا ارتكب مقتضي حلّها، وإنما تكون هـٰذه الحرمة إذا شهد ألا إلـٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأقام الصلاة، وآتىٰ الزكاة، إذا ملك مال أدىٰ زكاته «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَـهُمْ».

أموال المسلمين ودماءهم حرام علىٰ كل أحد، بالنسبة للنفس حرام إلا بارتكاب موجب زوال الحُرمة، والمال إلا بطيبة من نفسه، في الحديث «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه**»، صيانة المال والنفس بالقيام بالشهادتين، وأداء الصلاة والزكاة، والبقية من صيام وحج كما مر من جحدها جحودا وقال: لا حاجة إليها. فهـٰذا يستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ لأن هدم ركن من أركان الإسلام والإصرار علىٰ ذلك يقتضي زوال العصمة.



الْـحَدِيثُ التَّاسِعُ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ عَبْدِ الرَّحمٰنِ بْنِ صَخْرٍ الدَّوْسِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ بِهِ [فَأْتُوا] مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ**».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث جزء من حديث تكلم به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمر الناس عليه أفضل الصلاة والتسليم بالحج، قال: «**أيها الناس، إن الله كتب عليكم الحج فحجوا**»، فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولم يرد عليه، فكررها الرجل -الأقرع بن حابس التميمي- فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**أيها الناس ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم من كثرة مسائلهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا به ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**».

وأخذ العلماء من هـٰذا الحديث أن الأمر لا يقتضي التكرار إلا بقرينة، فالنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال: «**ذروني ما تركتكم**»، وأنزل الله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١]، فنُهي الناس أن يكثروا من الأسئلة، النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال: «**لو قلت: نعم كل عام، لوجبت، ولما استطعتم**» وفي رواية «**لهلكتم**» ثم قال: «**ذروني ما تركتكم**».

هـٰذا الأمر هو متعلق بحياة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ يعني: النهي عن كثرة السؤال، ولذلك جاء في الحديث الآخر: «**كنت نهيتم عن قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال، وعن منع وهات ووأد البنات**» إلىٰ آخره.

فالمسلم عليه أن يسلّم للأمر، وما أشكل عليه يسأل عنه العارفين به.

ومن رحمة الله جَلَّوَعَلَا بما يتعلق بالحج في هـٰذا حديث يتعلق بالنهي فقط، وأصل الحديث للحج من رحمة الله أنه جعل الحج في العمر مرة، ولو جُعل الحج في كل عام ما قدر الناس قطعا، ولو قدروا ما اتسع لهم المكان؛ لأن المسلمين الآن بهـٰذا العدد الكثير لو حج ربعهم عشرهم، لو حج في الألف واحد لكان شاقًّا، لكن رحمة أرحم الراحمين اقتضت أن الحج في العمر مرة، وما زاد عن ذلك فتقرّب إلىٰ الله بنوافل الطاعات؛ فقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب،**

كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة»؛ ولأننا نحب أن ننهي أكثر عدد من الأحاديث يكفي هٰذا.



الْحَدِيثُ الْعَاشِرُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢].

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ؛ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هٰذا الحديث فيه بيان أنَّ ما يُقبل عند الله جَلَّ وَعَلَا هو ما كان حلالًا، والله أمر الرسل أن يأكلوا من الطيِّبات، وأمر المؤمنين أن يأكلوا من الطيبات، والمقصود بالطيبات الحلال الذي أحلَّه الله، فإنَّ الحرام ولو كان ألذ المآكل فهو خبيث، والحلال ولو كان أخشن عيش فهو طيِّب، لما سأل سعد بن أبي وقاص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو الله له أن يكون مستجاب الدعوة؛ قال: «**أطب مأكلك تُستجب دعوتك**» فهو يقصد «**أطب مأكلك**» احرص علىٰ أن يكون مأكلك مما أحلَّ الله جَلَّ وَعَلَا الاكتساب منه، يوضِّح هٰذا بقية الحديث «رب أشعث أغبر، يطيل السفر يرفع يديه» الشُّعثة المنافية للتنعم، والغُبرة المنافية للتنعم، تُشعر العبد بأنه محتاج فقير بين يدي مالك عظيم، السَّفر يجعل المرء في غربة، والغريب لا يُحس بالعزة التي يحسّها المقيم بين أهله وعشيرته وقومه وبلاده، فإذا طال السفر أحس بالإرهاق وشعر بالحاجة، وقد سمّىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السفر قطعة من عذاب، ومن تعرض للعذاب زاد شعوره بالافتقار، رفْعُ اليدين يظهر الإنسان بمظهر التذلُّل، الحاجة البينة التكرار في الدُّعاء (ربّ أشعث أغبر يطيل السفر يرفع يديه: يا رب يا رب)، تكرار الطَّلب يقتضي تحقيق المطلب.

هٰذه الأمور التي أُشير إليها في هٰذا الحديث، لولا وجود العائق لكانت حَرِيّة لأن يتحقق بها للسائل مطلبه؛ لكن تأتي علة أخرىٰ وهي ما يضادُّ الطيبات -الطيبات من الرزق هي الحلال، والخبيث من الرزق هو الحرام- يقول: (**وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ**)؛ يعني: أن مأكله وملابسه ومشاربه من بداية أمره من مكاسب محرمة، يقول: (**فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**).

الإنسان إذا نظر إلىٰ أنه دعا ودعا، ودعا ولم يستجب له ينبغي أن يفكر أيضا في طريقة كسبه للمال الذي منه يُنفق علىٰ نفسه وأهله ومن تلزمه نفقتهم؛ لئلا يكون هـٰذا الإنفاق مشتملًا علىٰ ما يعوق إجابة الدُّعاء.

وفي هـٰذا الحديث ما يدلّ علىٰ مشروعية رفع اليدين في الدُّعاء، إذا أراد الإنسان أن يدعو ويلحَّ في طلبه يُشرع له رَفْعُ اليدين، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه أن رفع اليدين في الدعاء يسن يعني مطلقا؛ لكن بعض النّاس إذا أراد أن يدعو كلمح البصر يرفع يديه ثم ينتهي، ليس هـٰذا هو المقصود برفع اليدين، رفع اليدين أن يكون مع الطلب المتكرِّر، وبالمناسبة ألّف السيوطي رسالة صغيرة في رفع اليدين في الدعاء.



الْحَدِيثُ الْحَادِي عَشَرَ

عَنْ أَبِي مُحمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَليّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

هذا الحديث له صلة بحديث «**من اتقىٰ الشبهات**»؛ أي أن الإنسان إذا استراب بأمر هل هو حلال أم حرام، استراب بسفر، استراب بمكاسب، استراب بعمل هل هو مفيد أم لا، اجتهد فإن تبين له الصواب والحق، فهذا توفيق من الله جَلَّ وَعَلَا، وإن بقي الأمر ملتبسا فالسلامة أولىٰ، فإن كان ذلك فيما يتعلق بالحلال والحرام فقد جعل الله فيما أحل غنية عما حرم، ولئلا يكون في حمىٰ يوشك أن تزل به القدم عليه أن ينكف، (**دَعْ مَا يَرِيبُكَ**) اترك ما استربت فيه وشككت في أمره، فإن فيما لا ريبة فيه ولا إشكال غُنية واكتفاء (**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ**) فقد وسَّع الله علىٰ العباد، ما جعل علينا جَلَّ وَعَلَا في الدين من حرج؛ بل يسر أمورنا وسهّل أسباب حياتنا، والموفق من اتقىٰ الله.

وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يشملنا جميعا بلطفه، ويهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن ينفعنا بما نسمع ونقول، وأن يرزقنا العلم النافع والإخلاص في تحصيله والعمل به إنه مجيب الدعاء.



بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيئاتِ أعْمَالِنَا، مَـنْ يَهْـدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وخليله وَرَسُولُهُ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل عملنا هـٰذا خالصا لوجهه، مقبولا عنده، نافعا لنا جميعا في دنيانا وأخرانا، كما أسأله سبحانه أن يصلح حال المسلمين، ويؤلف ذات بينهم، ويجمع قلوبهم علىٰ التقوىٰ ويعيذهم من نزغات الشيطان ووساوسه، ويذل أعداءهم، إنه مجيب الدعاء، ونستعين بالله ونبدأ



الْـحَدِيثُ الثَّانِي عَشَرَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسلَامِ الْـمَرْءِ: تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**». حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَغَيْرُهُ هَكَذَا.

هـٰذا الحديث ينبغي أن يكون أساسا لعمل المسلم؛ ألا يتدخل فيما لا يعنيه، لأن من حسن إسلام الإنسان أن يهتم بما يعنيه، ولا شك أن مما يعني المسلم صلاح المسلمين ونصحهم وإرشادهم ودلالتهم علىٰ الخير، تحذيرهم من الشر، التعاون معهم علىٰ البر والتقوىٰ، يكف نفسه علىٰ الدخول في أمر لا يلزمه القيام به، ولا يحصل له ثوابٌ عند الله إذا عمل به أو شارك، لاشك أنَّ المسلم يعنيه كل ما يهم المسلمين، وما لا ينفع المسلمين بجلب خيرٍ أو دفع شر، فهـٰذا لا يعني المسلم، بالتدخل في أمور؛ بخاصة الناس وأفرادهم دون أن يُدخلوه فيها ودون أن يقتضي منه النصح التدخل فيها تدخلٌ فيما لا يعنيه.

من ترك ما لا يعنيه أن يجتنب المشتبهات من الأمور، وأن يهتم بما يقوِّي إيمانه ويقوي إيمان إخوانه المسلمين؛ لأن المسلم جزءٌ من المجتمع الإسلامي، وقد وصف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المسلمين بأنهم كالجسد الواحد.



الْحَدِيثُ الثَّالِثَ عَشَرَ

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -خَادِمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث حديث أنس بن مالك خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو من أكثر الصحابة حديثًا لطول خدمته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يبيّن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن المؤمن لا يكمُل إيمانه حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وليس هـٰذا معناه أنه إن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسيه يكون كافرا، إنما قصده أنه لا يكون كامل الإيمان إلا إذا أحب لإخوانه ما يحب لنفسه.

يحب لنفسه الغنىٰ والاستغناء علىٰ الآخرين فليحبه فلإخوانه.

يحب لنفسه الصحة لبدنه فليحب ذلك لإخوانه المسلمين.

يحب لنفسه أن يعيش آمنا غير خائف فليحب ذلك لإخوانه المسلمين.

يحب أن يتنعّم في الدنيا بما هو مباح لا يجر إلىٰ اغترار وطغيان، ويحب لنفسه أن يتنعم عند الله جَلَّ وَعَلَا في جنات النعيم فليحب ذلك إخوانه المسلمين.

لا يتم الإيمان ويكمل إلا بذلك؛ لكن لا يزول الإيمان فإنّ في الناس من يحبّ أن ينفرد بالخير، من الناس من يحب أن يكون أعلم الناس ولا أحد يساويه في العلم، من الناس نن يحب أن يكون أرفع الناس منزلة ولا يحب أن يساويه أحد، هو لا يكفر بذلك، ولا يُسلب الإيمان بذلك؛ لأن من شهد ألا إلـٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وآتىٰ الزكاة وصام رمضان وحج إذا قدِر وفعل ذلك مخلصًا من قلبه فهو مؤمن؛ لكن درجات الإيمان متفاوتة؛ كما في حديث «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إلـٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»، لا يحوز الإنسان كمال الإيمان إلا أن يأتي بكل ما يقدر عليه من خصال الإيمان.



الْـحَدِيثُ الرَّابِعَ عَشَرَ

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْـمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ**».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث الصحيح داخل معناه في حديث «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَلاَ إِلَه إَلاَّ الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلَامِ وحسابهم علىٰ الله**» فدم المسلم وماله وعرضه لا يحل إلا بمقتضىٰ دليل شرعي يستباح به الدم، من قتل نفسا معصومة قتْلُها يقتضي الاقتصاص من القاتل حل دمه؛ لأن هناك أنفسا معصومة؛ لكن لا يكون هناك تماثل للاقتصاص.

(**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبِ الزَّانِي**) الزاني المحصن إذا ثبت عليه الزنىٰ ولم يكن هناك شبهة وتأويل حلّ دمه بالصفة التي شرعها الله جَلَّوَعَلَا، (**وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ**) القاتل يُقتل إذا توفّرت شروط الاقتصاص إلا إن عفا أولياء الدّم، ومعلوم أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما عُرِض عليه أمر قصاص إلا رغب في العفو، فالعفو أحب إلىٰ الله جَلَّوَعَلَا وإلىٰ رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن أراد أن يقتص إذا ثبت له موجب الاقتصاص إلا أن من عفا عن القصاص عن قاتل يبتغي بذلك وجه الله أعتقه الله من النار بهذا العفو إن كان مسلما.

(**وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ**) التارك لدينه يشمل المرتد عن الإسلام، وأدخل فيه العلماء المحاربين الذين يخرجون علىٰ الجماعة الإسلامية، **وكذلك يُلحق به**: المتعمد لترك الصلاة المصرّ علىٰ ذلك؛ لأن الصلاة هي قِوام الدِّين، وهي أعظم الأركان بعد الشَّهادتين.

فلا يُستحل دم امرئ مسلم إلا إن كان زنىٰ بعد إحصان، ومعلوم ما أحيط به حدُّ الزنىٰ من شروط وعقباتٍ قلّ أن يوصل إليه إلا إذا اعترف الزاني بالزنىٰ، فإن الشهادة علىٰ ذلك منتهىٰ الصعوبة، هذه العقوبة الشديدة البالغة أحيطت بأمورٍ كثيرة يصعب أن تثبت إلا عن طريق الاعتراف.



الْحَدِيثُ الْخَامِسَ عَشَرَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ: فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ: فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ.

هذا الحديث العظيم ينظّر للمسلم طريق السلامة في الخطاب والسكوت، وطريق الإحسان إلىٰ الضيف والجار.

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يؤمن بالله بأنه لا تخفىٰ عليه خافية ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، والله جَلَّ وَعَلَا يسمع محاورات الناس؛ بل يعلم السر وأخفىٰ، إذا آمن بذلك وآمن باليوم الآخر الذي فيه الحساب، فيه الجزاء والثواب، حمله إيمانه علىٰ ألا يقول إلا ما يسره أن يراه في صحيفة عمله؛ ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناصح الأمين الذي وصفه ربُّه أنه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، يبيِّن ما تتحقق به السعادة في الدنيا والآخرة، (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)، السُّكوت فيه السلامة؛ ولهذا لما ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث معاذ أمر الإسلام و«**أن رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**» قال في آخر الحديث: «**ألا أدلك علىٰ ملاك ذلك كله؟**» قال: بلىٰ، قال: «**أمسك عليك هذا**»، وأمسك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطرف لسان نفسه، قال معاذ: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوهم** -أو قال: **علىٰ مناخرهم**- **إلا حصائد ألسنتهم**».

فالإنسان عندما يهم بالكلام يتأمّل هل هٰذا الكلام الذي سيقوله رضًا لله جَلَّ وَعَلَا، إن كان الأمر كذلك فليبادر، إلا إن خشي أن يترتب عليه سوء ويحدث عنه شرٌّ وبلاء فإن الإنسان في هٰذه الأمور يرجع في حاله إلىٰ درء المفاسد وجلب المصالح، ما تُحقق أن خيره أكبر من شرّه وأن نفعه أجل من ضرره أخذ به، وإذا شكّ في الأمر فإن التوقف السلامة والنجاة.

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)، جاء في الحديث الصحيح «**أن الرجل يتكلم بالكلمة** -والمرأة كذلك- **ما يظن أنها تبلغ ما بلغت**» يضحك بها القوم ليظهر أنه حاذق في النكات

«**يكتب له الله بها الشقاء إلىٰ يوم يلقاه**» وفي رواية في لفظ آخر «**تهوي به في النار أبعد من المشرق والمغرب**» المرء محتاج دائما إلىٰ النظر في عواقب ما سيتكلم به إلىٰ غير ذلك.

(**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ: فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**) الضيافة لها شأن، وهي من الأمور المألوفة فيمن كانوا قبْلنا من الأمم، وقد قصّ الله جَلَّوَعَلَا نبأ ضيف إبراهيم المُكرمين، وقصَّ المبادرة من إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في تهيئة قِرَاهم عندما راغ إلىٰ أهله وجاء بعجل سمين، ذلك ما يدعو إلىٰ المبادرة في إكرام الضَّيْف، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أعطوا الضيف جائزته**» يعني أكرموه، وكانت عادة العرب التفاخر بإكرام الضيف، والتباهي بذلك، فجاء الله بهذا الدِّين مؤيِّدا بإكرام الضيف بغير تباهٍ، وإنما ابتغاء الأجر وامتثالًا لأمر المشرِّع صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واقتداءً بأبي الأنبياء خليل الرحمـٰـن عليه وعلىٰ نبيِّنا أفضل الصلاة والتسليم.

(**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ: فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**) أمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الضيف أن يرحل بعد ثلاث، لئلا يُحرج مضيفه، وأمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الضَّيف إذا ضاف قوما ولم يقروه وقدر أن يأخذ قدر قِراه إذا كان محتاجا لذلك أن يفعل، النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ذكر أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وكما مرّ أعظم مكارم الأخلاق إخلاص العبادة لله، ومن مكارم الأخلاق أن يقول خيرًا؛ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم علم وإرشاد جاهل وأمثال ذلك ممَّا ينفع عباد الله ولا يضر بفاعل وإكرام الضيف.

(**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ: فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**) والجار له شأن؛ أي شأن في الإسلام، ويقول المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورِّثه**» حتىٰ ظن أنه سيكون من ضمن الورثة، والجار له أثر حتىٰ في مال الإنسان، الإنسان إن كان له جار يشترك معه في منافع، يكره أن يشاركه غير جاره لا يحل لجاره أن يبيع حتىٰ يؤذنه، والله جَلَّوَعَلَا لما ذكر في الوصايا العشر ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [النساء:٣٦]، جاء ذكر الجار من مواقع الإحسان، ويقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الصحيح «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن**» قالها ثلاثا، فقال من يسمع من الصحابة: من هو خاب وخسر؟ قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**»، الإنسان مأمور بالإحسان إلىٰ الجار؛ لكنه يحرم عليه بتغليظٍ أن يسيء إلىٰ جاره، وتسير إلىٰ جاره عقاربه وغدراته.

وأهم الجيران الجار الملاصق، وجاء في الحديث أنه يصل إلىٰ أربعين، ولما سألت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: من الأحق؟ قال: «**أقرب الجيران بابا**» أو كلمة نحوها، وأمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

بالإهداء إلىٰ الجيران فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يا معشر النساء لا تحقرن جارة أن تهدي لجارتها ولو فرسن شاة**» لأن التهادي من شأنه أن يؤلف القلوب، فتعمر القلوب بالمحبة، والمسلمون المؤمنون يقول النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابُّوا**» ثم قال: «**ألا أدلكم علىٰ ما إن فعلتموه تحاببتم، أفشوا السّلام بينكم**»



الـحَدِيثُ السَّادِسَ عَشَرَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِـرَارًا، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الغضب من الشَّيطان، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوصي كل إنسان بما يراه أنه الأليق به والأنفع له، يستوصيه رجل آخر فيقول: «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**» إلىٰ غير ذلك.

النبيُّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ذكر أن مما يطفئ الغضب: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ويبدو أن هـٰذا الرجل -والله أعمل- كان سريع الغضب، فلما استوصىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا تَغْضَبْ**».

وبيَّن عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في حديث آخر أن الناس ثلاثة أصناف:

منهم سريع الغضب، سريع الفيْئة؛ أي: الرجوع عن الغضب، يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هـٰذه بتلك**».

ومنهم بطيء الغضب بطيء الفيئة، فيقول: «**هـٰذه بتلك**».

ومنهم سريع الغضب بطيء الفيئة.

وبطيء الغضب سريع الفيئة، هـٰذا الأخير هو الأحسن، والذي قبله هو الأسوأ.

والغضب من شأنه أن يولِّد حزازات ويبعث العداوات والمنازعات والخُصومات، ويجرُّ إلىٰ التنافر والتناحر وسفك الدماء.

وأوصىٰ النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بما يعالج به الغضب: كالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فإن رجل لاح آخر فاحمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب ما يجد**»، قالوا: وما هي؟ قال: «**أعوذ بالله من الشطان الرجيم**»؛ لكن الرجل لما قيل له ذلك؛ قال: أنا مجنون؟

والنبي أمر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا كان ماشيا فليقف، إن واقفا فليجلس.

وأمر أن يتوضأ الإنسان وضوء الصلاة إذا غضب، فيقول: «**إن الغضب جمرة تتوقد في فؤاد ابن آدم، وإنما يطفئ الماء النار**».

فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما من خير ينفعنا في ديننا ودنيانا إلا ودلَّنا عليه صلوات الله وسلامه عليه.

فالغضب يفرّق بين الزوجين، ويفرّق بين الأحبة من الأصدقاء، ويفرّق بين الإخوة، وربما فرّق بين الأب وابنه، والأم وابنها.

ومن وفقه الله جَلَّوَعَلَا لمعالجة الغضب بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وصرف النفس عن الاستسلام له= وُفِّق إلىٰ خير عظيم.



الْـحَدِيثُ السَّابِعَ عَشَرَ

عَـنْ أَبِـي يَعْلَـىٰ شَـدَّادِ بْـنِ أَوْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ عَـنْ رَسُـولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَـالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كَتَـبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ؛ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَـفْرَتَهُ؛ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث الذي يوصي فيه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويأمر= يبين أن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء، حتىٰ مع الأعداء، إذا أريد ذبح إنسان لا يعذب بالذّبح، إذا كان العبد في قتال حرب وأمكن أن تكون القِتلة لا تشتمل علىٰ تعذيب فهو أولىٰ، (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ) سواء في قصاص أو حد أو غير ذلك، وكل ذلك في حدود ما شرع الله.

لا يصح أن يقول إنسان: الرجم خارج عن ذلك؛ بل إن الرجم من الإحسان إلىٰ مجتمع الأمة الإسلامية لما فيه من الزجر عن ارتكاب هـٰذه الفواحش الخطيرة المغلظة.

يقول: (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ) ذبائحكم أيضا (فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ) وبين كيف نفعل (وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ؛ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)، لا يبادر إلىٰ ذبحها بعنف، ولا يجرها جرًّا عنيفًا، ولا ذبحها بمرأىٰ من صواحبها اللاتي تذبح بعدها.

فالإسلام اشتمل علىٰ أكمل حالات الإحسان حتىٰ مع بهيمة الأنعام وحتىٰ مع الأعداء، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة:٨]، يأمر بالعدل؛ لأنه أقرب للتقوىٰ.



الْحَدِيثُ الثَّامِنَ عَشَرَ

عَـنْ أَبِـي ذَرٍّ جُنْـدُبِ بْـنِ جُنَـادَةَ وَأَبِـي عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ مُعَـاذِ بْـنِ جَبَـلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَـنْ رَسُـولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ قَالَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْـحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ) وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

هـٰذا الحديث اشتمل علىٰ خير عظيم الوصية بالتقوىٰ، والتقوىٰ إذا وفق الله الإنسان لها منح له فرقانا يفرق بيه بين الحق والباطل، بينما ينفعه في حياته وآخرته وبين ما يضره (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ) في كل موقف، في حال خلوتك.

إذا مـا خلـوت الـدهر يومـا فـلا تقل خلوت لكن قل عليّ رقيب

في مجالس الكبراء اجعل تقوىٰ الله جَلَّوَعَلَا بين عينيك، إن استطعت أن تأمر بمعروف أو تنهىٰ عن منكر فافعل، وإن لم تستطع فلا تحبذ ما تراه منكرا وتظهر عدم الاشمئزاز لذلك، لتكن تقوىٰ الله دافعة لك علىٰ فعل الخير، صادة لك عن فعل الشر.

تقوىٰ الله جَلَّوَعَلَا أن يجعل الإنسان بينه وبين سخط ربه جَلَّوَعَلَا وقاية من خشيته وخوفه، والحياء منه أن يرتكب ما لا يرضاه جَلَّوَعَلَا لعبده، (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ) في كل موضع، في حال خلوة لا يراك أحد، لا تقل لا يراني أحد، فإن الله جَلَّوَعَلَا يراك ويعلم موقفك ويعلم ما يتلجلج في صدرك، ويعلم ما يمكن أن يحدث لقلبك في يوم من الأيام.

(وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْـحَسَنَةَ) كل بني آدم خطّاؤون، وخير الخطائين التوابون، من الذي لا يسيء؟ إنّما الموفّق من إذا أساء ندم فتاب إلىٰ الله واستغفره وأحسن، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ [المؤمنون:٩٦].

(وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)، السيئات كثيرة؛ لكن من لُطف الله جَلَّوَعَلَا وجميل إحسانه بعباده يسَّر علىٰ عباده ما تُمحىٰ به السيئات، بالتوبة والاستغفار وعمل الصالحات، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾ [هود].

(وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْـحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) جاملهم؛ ولكن لا تداهن في دينك، إلقهم بالبشر، اجعل ابتسامتك مذلولة لهم دون ابتذال لنفسك في كل موقف، دون ابتسامة في موقف لا يصلح فيه الابتسام؛ لأن لكل ساعة لبوسها.

(**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**) وأجمل ما يخالق المرء به الآخرين الصدق في الحديث، والنصح وإظهار محبة الخير لهم، والتَّغافل عن عثرات ألسنتهم، إلا ما كان من منكر ينبغي إنكارُه، لما استأذن عن النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أحد سادات الصحابة وقال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**ائذنوا له، بئس أخو العشيرة**» فلما دخل على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لاطفه وحادثه، لمّا خرج قالت له عائشة: إنك يا رسول الله قلت ما قلت، ثم لما دخل لاطفته وجاملته، فقال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**متىٰ عهدتني يا عائشة فحّاشا، إن شر الناس من تركه الناس اتقاء فُحشه**»، أي: سوء لسانه ومخاطبته.

الإنسان ينبغي له أن يحرص أن يأتي الناس الشيء الذي يحب أن يأتي الناس له، يتجنّب التكبر والإعراض عنهم أو الاستهزاء بهم، فإنَّ الاستهزاء جهل بحقيقة المتكلم وجهل بما يحبه الله جَلَّوَعَلَا، فإن موسىٰ عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لما قال لهم قومه: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾ [البقرة].



الـحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَرَ

عَنْ أَبِي الْعَبَّاس عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا استَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْء قَدْ كَتَبَهُ الله علَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

رَوَاهُ التِّرْمِذِي، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِي: «احْفَظِ الله تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَىٰ اللهِ فِي الرَّخَاء يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْـرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

هـٰذا الحديث العظيم بالغ الأهمية، ينبغي للإنسان أن يتصوره ويستحضره ما أمكنه ذلك، يتعرّف إلىٰ الله بطاعته، يحفظ الله جَلَّ وَعَلَا بأداء واجبات الدِّين واجتناب المحرمات والتورُّع عما يشتبه عليه.

(احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ) تجده معك بنصره وتوفيقه وتأييدك والدِّفاع عنك.

(تَعَرَّفْ إِلَىٰ اللهِ فِي الرَّخَاء) في حال الأمن، في حال الشبيبة، في حال الغِنىٰ، في حال الإقامة، تعرف إليه بالعبادة والإحسان إلىٰ عباده جَلَّ وَعَلَا، رغبة في إحسانه إليه بكفِّ الأذىٰ عن الآخرين، ليصرف عنك أذاهم وأذىٰ غيرهم.

وفي هـٰذا الحديث بيان أن الأمور قد كُتبت.

ما أخطأ الإنسان لن يصيبه؛ أي: ما قضىٰ الله جَلَّ وَعَلَا ألا يصبه فلا يمكن أن يصيبه، وما قضىٰ الله جَلَّ وَعَلَا أن يصيب الإنسان فلا يرده شيء، انتهىٰ الأمر في الأزل.

ثم يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في بعض ألفاظ الحديث (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا استَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بِاللهِ) واعلم أنَّ الضار والنافع ليس الخلق، وإنما الله هو الذي يأتي بالخيرات ولا يدفع السيئات إلا هو، الخلق كلُّهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بشيء ما أراده الله ما استطاعوا.

هـٰذا حديث مهمٌّ لكل إنسان؛ لأن يعوّد نفسه مخافة ربه، ويتذكَّر أنه محتاجٌ دائما إلىٰ الله وأن هناك أزماتٍ إن لم يكن هناك سابق عمل وجميل إحسان قد تضيق يده وتضيق حيلته وتنسد أمامه المسالك.

فالأعمال الصالحة عندما تشتد الكروب وتتوالىٰ الخطوب يظهر أثرها.

فإن الثلاثة النفر الذين خرجوا يتماشون أصابهم المطر في الطريق -والحديث في الصَّحيح- فآووا إلىٰ الغار فانحطت صخرة وسدت الغار، فلا شك أن الآثار قد زالت بجريان السيول، فأيقنوا أنه لا مخرج ممَّا هم فيه بفعل بشر، فتذكروا إلا أن يلتجئوا إلىٰ الله ويتذكروا صالح الأعمال، والحديث مشهور معروف.



الـحَدِيثُ الْعِشْرُونَ

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍ الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ.

هـٰذا الحديث فيه بيان أثر فاقد الحياء، الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إنَّ الحياء لا يأتي إلا بخير**»، رأىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رجلا ينصح له أخا في الحياء؛ كأنه يقول له كثر حياؤك فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**دعه فإنَّ الحياء لا يأتي إلا بخير**»، وأشرف الحياء وأعظمه الحياء من الله جَلَّوَعَلَا.

النعم كلها من الله، وهو جَلَّوَعَلَا لا تخفىٰ عليه من عبده خافية، فإذا رزق العبد الحياء استحيا من الله جَلَّوَعَلَا أن يترك ما أوجبه عليه، أو أن يقصِّر في عملٍ يندب العمل به، أو أن يراه مرتكبا ما حرم عليه، أو أن تطيش نفسه لأمر مكروه وإن لم يصل إلىٰ التحريم خشية من الانزلاق.

«**والحياء من الإيمان**» كما في الحديث الذي أشرت إليه «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها قول لا إلـٰه إلا الله وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»، ومن زال حياؤه بالكلّية يصنع كل ما لاح له ولاق في خاطره من شرٍّ وبلاء ومنكرٍ وأذىٰ.

وقول النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**إن الناس مما أدركوا من النبوة الأولىٰ**» دليل علىٰ الحياء محل اعتذار عند أهل الإيمان وفي جميع الرسالات السابقة، وأنَّ أمره أمر هام، وأن فقده يجرئ علىٰ ارتكاب أنواع المنكرات.

فنسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يرزقنا جميعا الحياء منه والحياء من عباده.



الْـحَدِيثُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

عَنْ أَبِي عَمْرٍو -وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ - سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْ لِـي فِـي الإِسْلَامِ قَوْلًا، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِالله ثُمَّ اسْتَقِمْ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث الهام الذي جمع فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل ما يحتاج إليه العبد؛ فإذا قال: (آمَنْتُ بِالله) فالإيمان كما جاء في حديث جبريل في سؤال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بالله وبكل ما يقتضي هـٰذا الإيمان الإيمان به، ثم الاستقامة علىٰ ما يقتضيه هـٰذا الإيمان؛ من لزوم الطاعات واجتناب المعاصي والتورع عما اشتبه أمره، مع الاستمرار علىٰ ذلك، والاستقامة عليه دون انعطافٍ أو انحراف، فإنَّ سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أن يبين له النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في بعض ألفاظه قال: كثرت علي شرائع الإسلام؛ فقل لي يا رسول الله قولا في الإسلام قولا لا اسأل عنه أحدا غيرك. فهو مسلم يعرف أركان الدين؛ قال: «قُلْ آمَنْتُ بِالله ثُمَّ اسْتَقِمْ»، أعلن هـٰذا بلسانك ثم استقم علىٰ ذلك علىٰ مقتضاه، فإنك إذا استقمت عليه؛ وصلت بإذن الله جَلَّ وَعَلَا ما يريده كل مؤمن صادق الإيمان.

نقف علىٰ هـٰذا الحد، ونسأل الله جل علا أن ينفعنا بما سمعنا وما نقول، وأن يهيئ لنا جميعا من أمرنا رشدا، ونستمع للأسئلة.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين، الذي نصح للأمة وبيّن البيان المبين، صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله علىٰ صحابة نبيه الذين حملوا هـٰذا الدين، وبلّغوه لعباد الله، وأوضحوا لهم معالمه كما تلقوه عن نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وبعد، فنستعين الله لنبدأ فيما نحن فيه.



الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْئًا: أَأَدْخُلُ الجنَّةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمَعْنَىٰ (حرَّمْتُ الْحَرَامَ) اجْتَنَبْتُهُ.

وَمَعْنَىٰ (أَحْلَلْتُ الْحَلَالَ) فَعَلْتُهُ مُعْتَقِدًا حِلَّهُ.

هـٰذا الحديث وما فيما معناه يبيِّن أن من أدىٰ الفرائض الواجبة وتجنّب المحرمات دخل الجنة؛ لكن تختلف منازل الناس في الجنة علىٰ قدر أعمالهم وقوة إيمانه.

الله جَلَّ وَعَلَا لا يحاسب عباده إلَّا عما افترضه عليهم، وما حرَّمه عليهم، وما وراء ذلك فإن أحسنوا وزادوا فإنما فعلوا لأنفسهم الخير، وإن اكتفوا بما فُرض عليهم مخلصين لله العمل أدخلهم الجنّة.

وقد قال رجلٌ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير هذا اللفظ من الصحابة لما سمع النبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يذكر ما يُدخل الجنة لما سأله رجل بعد أن قال له: «**تصلي الصلوات الخمس**» وعدد له، كلما عدد له قال: هل عليّ غيرها. قال: «**لا**»، وقال: إنه يدخل الجنة، سمعه شخص فقال: بخٍ بخ. وكلمة (بخ)تشعر بالسرور والرضا والفرح، فقال النبي: «**أيعجبك ذلك؟**» قال: نعم. قال: «**إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجة وأخرىٰ أبعد -وفي رواية: كما بين السماء والأرض- أعدها الله للمجاهدين في سبيله**»، ففضائل الأعمال بعد أداء الواجبات إذا أُتقنت الواجبات والفضائل يبين الفرق والتميز بين من اكتفىٰ بالواجب.

ومعنىٰ قوله: (وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ) يعني فعلت ما تحتاج إليه من الحلال، واعتقدت حل ما أحله الله، والإنسان لا يستطيع أن يفعل كل ما هو حلال أو يتناول كل ما هو حلال؛ لكن ما فعله عليه أن يقتصر علىٰ ما أحل الله وأن يعتقد حل ما أحل الله، وهو باعتقاده أن الله أحل أشياء وحرم أشياء، وأن الأمر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يثاب علىٰ هـٰذا الاعتقاد.

وكذلك إذا حرم الحرام، الحرام يحتاج إلىٰ أن يكف علىٰ الحرام كله، ففرق بين الحلال، الحلال يأتي منه ما احتاج إليه معتقدا حله، وأما الحرام يتجنبه بدون استثناء، والاستثناءات في الضرورات والله

جَلَّ وَعَلَا لم يجعل علينا من حرج في الدِّين.

وأباح لنا ما نضطر إليه، وتقدير الضرورة إنما يقدرها العارفون بحقائق الأشياء والأحكام ولوازم الأحكام وأدلة ذلك.



الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْـحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْـحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْـحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ - أَوْ: تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث من أعظم جوامع الكلم التي أوتيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقوله: (**الطَّهُورُ**) أو (**الطُّهُورُ**) أحدهما للماء والآخر للفعل، قيل: ما كان للضم فهو للماء وما كان للفتح هو للفعل. وقيل بعكس ذلك.

وقوله: (**شَطْرُ الْإِيمَانِ**) الله جَلَّ وَعَلَا سمّىٰ الصلاة إيمانا قال جل من قائل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة:١٤٣]، لما حولت القبلة من بين المقدس إلىٰ الكعبة تحدّث الصحابة عن الصلاة التي صلوها باتجاه بيت المقدس وماذا لهم منها، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾.

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**) وهي قسمان: أفعال وحركات تؤدىٰ واستعداد لها قبل ذلك، فكأنها شطران: شطر هو الطّهور، وشطر هو أداء هـٰذه الأعمال.

وأما إذا قُصد بالطهور طهارة القلب -وإن كان ليس ظاهرا- فإنها لا تصلح أعمال إلا بتحقق إخلاص العمل لله، والطهارة هنا طهارة القلب في تلك الحالة.

ثم ذكر الأذكار وأهميتها وينبغي للمسلم أن يوليها عناية تامة، (**وَالْـحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْـحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ - أَوْ: تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**) ألفاظ خفيفة قصيرة، لا عناء في النطق بها، يكتب الله للإنسان بسببها الخير العظيم.

(**وَالصَّلَاةُ نُورٌ**) الصّلاة هي عمود الدِّين من حفظها وحافظ عليها كان له عند الله عهدٌ أن يدخله الجنة، ولا أوفىٰ من الله جَلَّ وَعَلَا، ومن لم يحافظ عليها فليس له عند الله عهد.

(**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**) نور ساطع.

هـٰذه الأعمال الصلاة هي في الحقيقة تشتمل أيضا علىٰ هـٰذه الأذكار، علىٰ الحمد لله، وعلىٰ سبحان

الله، وعلىٰ التكبير، وعلىٰ الشهادتين، فالصلاة تجمع أساس أركان الإيمان، وهي كما هو معلوم كما مر أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

وفي الحديث: (**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**) هـٰذا القرآن العظيم الذي أنزله الله جَلَّوَعَلَا نورا وبرهانا وهداية للخلق العاملون به المتلذذون بتلاوته المتدبرون لمعانيه حجة لهم يقال: لقارئ القرآن في الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية. والقرآن شفيع بأهله وأوليائه، (**حُجَّةٌ لَكَ**) حجة لمن عمل به تلاوة وعملا وحكما بما اشتمل عليه، وهو مع السنة فيه كفاية للخلق عن كل شيء، الله جَلَّوَعَلَا ما فرَّط في الكتاب من شيء، وجعله تبيانا لكل شيء، والله جعل نبيه للناس ما نزل من ربهم، (**حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**)، من يقرأ القرآن ولا يعمل به أو من يغفل عنه بعد معرفته له، يكون القرآن حجة عليه، ومن كان القرآن خصمه فإنه غيرُ مفلح، كلام الله حقٌّ كله وهدىٰ وبيان، (**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**).

يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو**) جميع الناس في صباحهم يغدون، المسألة مسألة بيع وشراء متاجرة؛ لكنها نوعان:

متاجرة رابحة حتما وهي متاجرة من يعتق نفسه، (**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَائِعٌ نَفْسَهُ**) البيع حاصل لا محالة، فإن كان بتقوىٰ الله جَلَّوَعَلَا وأداء فرائض دينه والتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادات والانكفاف علىٰ ما حرم الله جَلَّوَعَلَا، فهـٰذا البائع يبيعها في سوقه الرابحة فيعتقها.

والآخر يبيعها؛ لكن يبيعها بيع المبخُوسين المفلسين فيوبقها، يبيعها سلعةً لعدوها الشيطان.

فمن استعمل صحته ووقته وراحته فيما يُرضي الله، ولا حرج إذا صرف شيئا فيما أباحه الله ترويحا لنفسه، (**فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**) والموفق من نظر في أحواله، كلما أصبح وكلّما أمسىٰ، إذا أمسىٰ ينظر هل الصفقة رابحة؟ هل حفظ نفسه في الوقوع فيما حرم ربه عليه؟ إن وجد تخليطا فبإمكانه أن يستعمل آلات المحو بالاستغفار والتوبة فيما بينه وبين خالقه جَلَّوَعَلَا، وقضاء ما هو لعباده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.



الْـحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَـا [رَوَىٰ] عَـنْ رَبِّـهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ أَنَّـهُ قَـالَ: «يَـا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَـمُوا.

يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِـدٍ مِـنْكُمْ؛ مَـا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَـا نَقَـصَ ذَلِـكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَـأَلُونِي، فَأَعْطَيْـتُ كُـلَّ [إِنْسَانٍ] مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي؛ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَـدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث الهام العظيم حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه جَلَّ وَعَلَا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: (**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَـمُوا**) الظلم ظلمات يوم القيامة؛ لا يحل المسلم أن يظلم أحدا بخاصة المسلمين، «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه**» الله حرم علىٰ نفسه الظلم، فهو الحكم العدل؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس]، أخبر أنه حرمه علىٰ نفسه ونهانا أن نتظالم، أن يظلم أحد أحدا، وحذرنا من الظلم، وبين عبده وخليله محمدا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الظلم ظلمات يوم القيامة، وحذّر الظالم من دعوة المظلوم كما في حديث معاذ: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

المسلم ينبغي له أن يحاسب نفسه في تعامله مع الآخرين، وأبشع الظلم وأسوؤه الشرك بالله، كما قال جَلَّ وَعَلَا عن لقمان وهو يوصي ابنه: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان]، سمع الصحابة قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، ثقُل عليهم فقالوا: من منا لم يظلم نفسه، فبيّن لهم رسول الله أنّ المراد بهذا الظلم: الشرك؛ وقال: «**ألم تسمعوا قول لقمان**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾».

ثم يأتي التظالم بين العباد، وهو محرّم، لا يحل للإنسان أن يظلم غيره مشركا كان أو كافرا؛ ولكنه إذا ظلم المسلم فبشاعة كبيرة، وإذا ظلم القريب قريبه المسلم فأشد بشاعة لاسيما والقرابة يُنتظر منها المؤازرة لا الظلم، يقول جَلَّ وَعَلَا: (**يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**) ليس بحذق الإنسان ولا بكثرة تجاربه ولا بهمته وعزمه يفوز بالهدىٰ، وإنما يهدي الله من يشاء ويضل من يشاء، وله في ذلك كله الحكمة البالغة.

(**فَاسْتَهْدُونِي**) ولخطورة الضلال ولأهمية الهداية شرع لنا أن نستهديه، أوجب علينا أن نستهديه في خمسة مواقف في كل يوم: في الصلوات الخمس، وفي هـٰذه السورة علمنا كيفية الأدب مع السؤال يبدأ بالثناء علىٰ الله وتمجيده وتعظيمه، ثم يسأل ربه الهداية؛ لأهمية الهداية وخطورة الطريق الضلال شُرع لعباد الله أن يسألوا ربهم الهداية، والناس كلهم ضال إلا من هداه الله، والحديث يقول: «**كل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون**»، ويأتي في الحديث (**إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**).

(**يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ**) فالله جَلَّ وَعَلَا هو الرزاق ذو القوة المتين، وقد يملك الإنسان أفضل أنواع الأغذية ثم لا يستطيع أن يلتذ بها، يملك ما لذ منها وطاب ويحول بينه وبين تناولها أنواع من العلل من أمراضٍ أو غير ذلك، فالله هو المطعم.

يقول: (**يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ عَارٍ**) كلكم لا كسوة له، (**إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ**) لا شك أن أسوأ العري فقد لباس التقوىٰ، ويشمل ذلك في هـٰذا الحديث لباس التقوىٰ والرياش التي يلبسها الناس، وكل ذلك من الله، ويدعونا ربنا جَلَّ وَعَلَا أن نسأله أن يهدينا وأن يطعمنا وأن يكسونا (**كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**).

(يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.) الله هو الغني الحميد، ما دام أن الخليقة أجمع من الجن والإنس منذ بدأ خليقته الجنسين إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، لو اجتمعوا وسألوا الله فأعطاهم كل ما طلبوه، لم ينقص ذلك مما عند الله إلا كما تنقص الإبرة في البحر المتلاطم.

(يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.) لا تنفع الله جَلَّوَعَلَا طاعة الطائعين، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، ولا تضره سبحانه معصية من عصاه، وربنا ليس بظلاّم للعبيد، بيّن لنا سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الطريق الآمن والطريق المحفوفة بالمخاطر والمكاره، هدينا النجدين؛ فمن أراد لنفسه السعادة والأمن من الأخطار فليسلك الصراط المستقيم الذي في حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خط خطا مستقيما خط علىٰ جنباته خطوطا مستقيمة وقال: «**هـٰذا صراط الله، وهـٰذه سبل وعلىٰ كل سبيل شيطان يدعو الناس إليه**».

(يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.) ربنا أرحم بالعبد من الوالدة بولدها، فلا يهلك عن الله إلا هالك، يأمرنا جَلَّوَعَلَا أن نستغفره، وأخبرنا أنه غفّار، فيقول جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ [طه:٨٢]، ويقول للمسرفين علىٰ أنفسهم: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر:٥٣]، إنما يحتاج العباد إلىٰ أن يتوبوا ويستغفروه (فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ).

ثم يقول: (يَا عِبَادِي؛ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدِ اللهَ) أي أن هـٰذا الخير ليس بحولك وقوتك أيها العبد، إنما هو بلطف اللطيف الخبير فاشكره علىٰ ما يسر لك، لو شاء لم يشملك بلطفه، ولو لم يشملك بلطفه لاجتالت الشياطين من لم يشمل باللطف، فإن الشياطين في نشاط بالغ وعملٍ متواصل، ويحولون المرء بينه وبين قلبه، وإنما من وفّقه الله واستعان به وبأسمائه وصفاته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه صِين بإذن الله، (فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)

فنفسك لُم ولا تلم المطايا

إذا رأىٰ الإنسان المفرطُ المحسنين، ورأىٰ صحائفهم بأيمانهم وهو بعكس ذلك يكون به حسرة نسأل الله السلامة.



=

(١) تكملة البيت: ومت أسفًا فقد حق الحذار، وهو لمحمد بن داود الظاهر المتوفي سنة ٢٩٧هـ.

الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -أَيْضًا-: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِم! قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟! إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ؛ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ..

هـٰذا الحديث فيما يتعلق بمنافسة الفقراء للأغنياء ومحبتهم أن يدركوا ما أدركه الأغنياء من سبل الخير، وقد شكوا إلىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقالوا: (ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ) الدثور هي الأموال، يشاركونهم في الأفعال، من صلاة وصيام وأنواع العبادات البدنية، ويزيد عليهم أهل الأموال بما يبذلونه، من نفقات وتجييش الجيش، عثمان بن عفان ثلاث الخلفاء الراشدين جهزّ جيش العسرة بأكمله، لما شكوا قال لهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟!) وذكر لهم هـٰذه الأذكار: (إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) إذا جامع الرجل زوجته أعف نفسه وأعفها كان بذلك العمل متصدقا علىٰ نفسه وعلىٰ زوجه، فتعجبوا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: (أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ؛ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟) قالوا نعم قال: (فَكَذَلِكَ).

هـٰذه الأذكار لها أهمية عظيمة كما مرّ في حديث «**الحمد لله تملأ الميزان**»، يذكّر الإنسان ربه في طريقه، في جلوسه، في عمله الذي يؤديه.

من لطف الله جَلَّوَعَلَا بعباده وجليل عطائه وجميل إحسانه ما شرعوا هـٰذه الأذكار، العامل الذي يمتهن العمل بيديه لا يحسن له الذكر؛ بل إن ذكر الله مما يعين علىٰ أعباء الدنيا، كما في حديث علي وقصة أمره لفاطمة أن تستخدم من السبي الذي جاء للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خادما؛ فدلهم علىٰ خير من ذلك إذا آووا إلىٰ مضاجعهم.

فالأذكار لها شأنها لأن القلب إذا اطمأن وارتاح نشط فنشط الجسد كله، وأعظم ما ينشّط القلب اجتناب الحرام وأداء العبادات بالتلذذ بها والإكثار من ذكر الله.



الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ [تَمْشِيهَا] إِلَىٰ الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هٰذا الحديث له صلة بحديث (ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ) أهل الدثور يبنون المساجد، ويستنبطون المياه في الطرقات للسابلة، ويبذلون ويبذلون، والفقير الذي لا مال له يسّر الله عليه أنواعا من الصدقات لا تستدعي مالًا يبذل، الذكر، إماطة الأذىٰ عن الطريق، وقد جاء في الحديث: أن رجلا فيمن كانوا قبلنا غفر له للإبعاد غصن شوك عن طريق الناس. وإماطة ما يؤذي في الطريق شعبة من شعب الإيمان، كما في حديث «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**».

والعاجز عن حمل متاعه إذا ساعده الإنسان يكون تصدق عليه، وفي حديث: «**يجب عليه كل يوم ستين وثلاثمائة صدقة**» في لفظ آخر قال الصحابة: لا يجد كلنا ما يتصدق به، فأخبرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأذكار وأنها صدقات، وإماطة الأذىٰ عن الطريق، وكفك أذاك عن الناس صدقة، ثم قال: «**يجزئ عن ذلك ركعتا الضحىٰ**» أي: أن كل واحد أصبح وقد جب عليه أن يتصدق بستين وثلاثمائة صدقة، والحديث في الصحيح؛ في صحيح مسلم، فإذا لم يتيسّر له أن يفعل شيئا فليصل ركعتي الضحىٰ، وتجزئانه عن بذل ستين وثلاثمائة صدقة، ما جعل علينا ربنا حرجا في ديننا؛ بل يسر وسهل لنا أسباب تحصيل الأجور وتكثير الذُّنوب وإنما يقصر من يقصر علىٰ نفسه.



الْـحَدِيثُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

عَنِ النَّوَاسِ بنِ سَمْعَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ قَالَ: «**البِرُّ: حُسْنُ الْـخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ [وَالْإِثْمِ]**؟» قُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَالَ: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ؛ الْبِرُّ: مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ**».

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رُوِّينَاهُ فِي مُسْنَدَيْ الإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ ابنِ حَنْبَلٍ وَالدَّارَمِي، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

هـٰذان الحديثان معناه متقارب أو واحد، (**الْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ**)؛ أي: ما تردد الإنسان فيه فلم يطمئن إلىٰ وجوده والعمل به، ما كره أن يعلم الناس أن ذلك من أفعال.

وأما البر ففي بعض الألفاظ «**شيء هين، وجه طلق وكلام لين**» والبر أن تلقىٰ الناس بما تحب أن يلقوك به من الرضا والبشر وخَفض الجناح ولين الجانب، والإنسان لا يستطيع أن يسع بماله؛ لكنه إذا وفق يسعهم بخُلقه، وأدبه واحترامه مشاعرهم وتجنّب استهجان أقوالهم، إلا ما كان من أمر منكر.

وحديث وابصة في بعض الألفاظ قال له النبي: «**إن شئت أخبرتك بما تريد وإن شئت أخبرتني بما تريد**»، وكون النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أطلعه الله علىٰ حاجة المرء قبل أن يتكلم بها، هـٰذه من دلائل النبوة التي خصّ بها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.



الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

وَعَنْ أَبِي نَجِيحٍ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ [حَبَشِيٌّ]، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض الألفاظ يقول: (وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ). كأن العيون امتلأت بالدمع حتىٰ ذرفت الماء بعد امتلائها، فأحسّوا أن هـٰذه الموعظة البليغة إنما هي بقرب أجله، فقالوا (يَا رَسُولَ اللهِ؛ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا) فأوصاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما من شأنه أن تجتمع الكلمة ويتّحد الصف ويتحقّق التعاون، فإن المسلمين لو اتحد صفهم واتفقت كلمتهم وصدق تعاونهم ما وجد مجرمون من أعداء الإسلام سبيلا الإذلال المسلمين تغريبهم داخل أوطانهم، فإن عامة المسلمين غُرباء في بلادهم.

ابن القيم رحمة الله عليه وهو يحكي حال أمثاله من أهل السنة، ويتحدث عن الغربة في ميميته، التي يقول فيها:

وأي اغـتـراب فـوق غربتنـا التـي　　　لهـا أضـحت الأعـداء فينا تحكـمُ

حين خرج ورأىٰ ما يتحكم به الأعداء بالمسلمين، والله جَلَّ وَعَلَا حكيم عليم ما نسي عباده لكن عباده تناسوا أمرهم فأنساهم أنفسهم، فنسأل الله أن يحقق اليقظة الصادقة للتمسك بدينه ومراجعته بصدق حتىٰ لا تستمر المذلة؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد في سبيل الله، ضربكم الله بذل لا يرفعه عنكم حتىٰ تراجعوا إلىٰ دينكم**».

قال: (أُوصِيكُمْ.. وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ) يعني لمن ولي عليكم، (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) عليكم بالسمع والطاعة بعد التمسك بسنته من عبادات ومعاملات وتعامل.

يقول في بعض الألفاظ «**وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ كأن رأسه زبيبة**» العرب في جاهليتهم كانوا لا يرون لأي جنس كان مزية عليهم أو مداناة، حتىٰ كسرىٰ لما أراد أن يصطفي بنات النعمان رفض ورأىٰ أن

كسرىٰ وهو ملك الفرس -إحدىٰ الدولتين العظيمتين في ذلك الزمن- رده لأنه لا يراه كفْءًا لبنات العرب.

فقال: (**وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ**) يعني تسمعون وتطيعون والسمع والطاعة من أصول أهل السنة والجماعة يجب في المنشط والمكره، وإذا مُنع الناس من الذي لهم وأخذ ما عليهم يسلِّمون الأمر ويسألون الله، وذلك لما في الاختلاف والتنافر من الشر والبلاء والمذلة والمهانة وذهاب الرّيح؛ كالحال التي يراها الناس عن المسلمين في ذلك الزمن، (**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْـخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**) ثم يحذرنا من كل بدعة.

(**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**)، والمقصود بهذا بدع العبادات، وأما الابتداع في تحقيق التفوق في أمور الدنيا، فلا مضرَّةَ فيه، فإن صاحبه إرادة نصر الإسلام وردِّ الأعداء وردعهم عن الإقدام عن انتهاك بلاد الإسلام كان من أفضل الأعمال.



الحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ.

قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةِ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلىٰ أَبْوَابِ الْخَيرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ».

ثُمَّ تَلَا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴾ [السَّجدة:١٦-١٧].

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّه؟» قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا».

قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ؛ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ [يَا مُعَاذُ]، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ: عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

في هـٰذا الحديث -حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- هـٰذا البيان العظيم فيما يتعلق بخوف الله ومراقبته، وعظم شأن الصلاة وأنها عمود الدين، وإذا سقط عمود الخيمة لم تبق قائمة، (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ) أعلاه (الْجِهَادُ) في سبيل الله.

ثم بقية الأعمال الداخلة في الإسلام، وصلاة الرجل في جوف الليل تدل علىٰ خوف الله، والرغبة فيما عند الله، والتعرُّض لعطايا الرَّبِ جَلَّ وَعَلَا في تلك السَّاعات التي يغفل الكثير من الناس، إما في راحة وإخلادٍ للراحة، وإمَّا في هـٰذه الأزمنة المتأخرة في سهر أقل أحواله إلىٰ سهر مباح لكنه يفضي إلىٰ عدم الاستيقاظ إلىٰ صلاة الفجر وفي ذلك ما فيه.

وأما أهل صلاة التهجد الراغبون فيما عند الله، فالله أثنىٰ عليهم بما قال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ

﴿ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦] جنوبهم تتجافىٰ كأن الإنسان قد وضع جنبه علىٰ موضع خشن يملّ الجنب البقاء عليه؛ لكنهم تتجافىٰ جنوبهم استثقالا للنوم ورغبة في مناجاة الله والتعرض لإجابة الدعاء.

والنبي سئل في الحديث الصحيح: أي الليل أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر**»، إذا غفل الناس أو أكثرهم ما بين نائم ومشغول بمُتع دنياه، إذا قام الرَّاغبون الصادقون يتضرعون إلىٰ الله يدعون ربهم خوفا من عذابه، وطمعا فيما أعده من الثواب بإخلاص ما كان من ذلك، فما كان يعمل ما ادّخر الله لهم، والموفق من اعتنىٰ بنفسه واستعد لها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍۖ﴾ [الحشر:١٨].



الْـحَدِيثُ الثَّلاثُونَ

وَعَنْ أَبِـي ثَعْلَبَـةَ الخُشَـنِيِّ جُرْثُـومِ بْـنِ نَاشِـرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَـنْ رَسُـولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ قَـالَ: «إِنَّ اللهَ [تَعَالَىٰ] فَرَضَ فَرَائِضَ، فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا».

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ.

هـٰذا الحديث فيه الأمر بطاعة الله، والنهي عن تعدي حدود الله، والعمل بما شرعه الله جَلَّوَعَلَا.

وفيه بيان أن ما سُكت عنه لم يبيَّن له تحريمٌ ولم يُشمل بحظر أنَّ السُّكوت عنه من الله ليس غفلة وإنما رحمة بعباده، الله خلق لعباده ما في الأرض؛ لكن دون أن يعتدي أحد علىٰ أحد، أو يستأثر أحد بمباحات الله علىٰ الآخرين ظلما وعدوانا.

وكلما تقيد الناس بما جاء عن الله في كتابه أو في سنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أخذٍ وترك وبذلٍ وعطاء وعمل كلَّما حقق الله لهم السعادة فأرجو أن يحقق الله لنا جميعًا ذلك.



الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالثَّلاثُونَ

وعَنْ أَبِي العَبَّاس سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السّاعِدِيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ، أَحَبَّنِيَ اللهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا، يُحِبَّكَ اللهُ. وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ، يُحِبَّكَ النّاسُ**».

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ.

هـٰذا الحديث يحث علىٰ مكارم الأخلاق يزهد، يحث الناس أن يزهد أحدهم فيما في أيدي الناس، الناس إذا لم يتطلع إلىٰ ما عندهم لم يكره المرء، ومن أحب لهم الخير أحبوه، أكثر ما تكون الموالاة والمعاداة في هـٰذه الدنيا علىٰ أمر الدنيا، الناس لا يتنافسون منافسة شديدة إلا علىٰ أمر الدنيا، يمكن أن تجد تنافسا بين أولياء الله في المسابقة إلىٰ ما يحقق رضا الله؛ لكن ذلك ليس بكثير، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف].

أكثر الناس علىٰ منافسة أمور الدنيا، فإذا وفق الإنسان أن يزهد عما عند الناس وأن يرضىٰ بما أعطاه الله، يتحقق له مع إقامة أركان الدِّين رضا ربه جَلَّوَعَلَا، ورضا العباد عنه، إنما ذلك يحتاج إلىٰ مجاهدة النفس وترويضها أخذًا بما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، الحرص لا يأتي بشيء، والتوكل علىٰ الله مع الزهد بما عند الناس لا يفوت شيئا.



الْـحَدِيثُ الثَّانِي وَالثَّلاثُونَ

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْـنِ سِـنَانِ الخُـدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ قَـال: «لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ».

حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا.

وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي «الْـمُوَطَّأ» مُرْسَلًا، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَىٰ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

هـٰذا الحديث من أهم الأحاديث التي اعتمدها الفقهاء في قواعد الفقه، والنَّهي عن المضارّة؛ فالمضارة محرمة، لا يضار المسلم مسلما، والضَّرر مدفوع، ولا يُزال بالضرر «**لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ**» لا يصلح للإنسان أن يضر أحدا، ولا يجوز للمسلمين أن يتبادلوا المضارة المفاعلة؛ بل المطلوب منهم أن يتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، ويتناهوا عن الإثم والعدوان، لا يحل للمسلم أن يستعمل حقه في ماله بالقدر الضار البين لإخوانه في البناء والأموال، وغير ذلك ما يتحقق به الضرر المقصود؛ بل حتىٰ ولو لم يكن مقصودا إذا كان الإنسان إذا عمل هـٰذا العمل ولو لم يرد مضارّة الجماعة؛ لكنه يضرُّهم فرع الضرر من القواعد الأصوليّة الهامة.

وهـٰذا يدلُّ علىٰ كمال هـٰذا الدِّين بترتيب المصالح وتكثيرها، وبيان المفاسد، والحثِّ علىٰ تقليلها واجتنابها، والموفَّق من وفَّقه الله جَلَّوَعَلَا، ومن اتق الله جعل له مخرجًا.



الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ [النَّبِيَّ] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُم؛ لَكِنِ الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**».

حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا، [وَأَصْلُهُ] فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

هـٰذا الحديث في جملته صحيح، والذي في «الصحيحين»: (**الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي**) وليس فيه (**وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**).

(**لَوْ يُعْطَى النّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُم**)؛ لكن الدعوى وحدها لا تكفي، لابد من البينة، والبينة هي ما يبين الحق ويوضحه بحيث يتبين لمن هـٰذا الحق، ومن الذي عليه أن يؤديه، مجرّد الدعوى لا تكفي لإثبات المطلب، وهـٰذا من الأشياء التي حتى العرب في الجاهلية يأخذون بها في إقامة بيناتهم، أو الأيمان عند فقد البيّنة.

فجاء التشريع السماوي بأكمل ما يكون من ذلك، (**لَوْ يُعْطَى النّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُم؛ لَكِنِ الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي**) أي: المدعي هو الذي عليه أن يتحمل تحقيق بينته وإحضارها عند القاضي أو الوالي أو من يدعى عليه الحق؛ لأن بعض الناس يرى أنه يكفيه أنه ثبت الحق لديه ليبذله، وبعضهم لا يبذله إلا عن طريق سلطان.

والحديث الذي في غير الصحيح (**الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**) وهـٰذا المعنى يؤخذ أيضا من الأحاديث الأخرى؛ فإن وائل بن حجر لما خاصم رجلا من كندة في مال قال: ألك بينة. قال: لا بينة له. قال: «**فيمين**». قال وائل: إنه فاجر لا يبالي على ما حلف. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس لك إلا ذاك**» أو كلمة نحوها.

نكتفي بهذا القدر من الأحاديث هـٰذه الليلة، ونحرص على التخفيف؛ لأن الإجابة عن الأسئلة أنفع ولتكون البقية من الأحاديث للأيام القادمة، وربما تكون الاستفادة إن شاء الله أتم.



بِسۡــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيــــــــمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إنّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا وسَيئاتِ أعْمَالِنَا، مَـنْ يَهْـدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وخليله وَرَسُولُهُ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه واتبع سنته.

وبعد،

نسأل الله جل علا أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه، وأن يعظم في نفوسنا سنة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، يرزقنا صادق التمسك بها، والدعوة إليها، إنه مجيب الدعاء.

نستأنف العمل.



الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».
رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث العظيم المشتمل علىٰ أصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يُعذر أحد بترك الأمر بالمعروف؛ لكنه يسلك ما يستطيعه.

أبو سعيد الخدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قام له مروان بن الحكم والي المدينة فخطب الناس يوم العبد قبل صلاة العيد، فقام رجل من المسلمين وقال: يا مروان الصلاة قبل الخطبة. فقال مروان: قد تُرك ما هنالك. أي أنه رأىٰ أو بُلِّغ من الوالي العام في دمشق أن يخطب قبل صلاة العبد؛ لأن صلاة العيد أشد لزوما من الخطبة.

فقام أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أما هـٰذا -أي هـٰذا الذي أنكر المنكر- فقد قضىٰ ما عليه، (سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»)، كان ولاة بني أمية يُدخلون في خطبهم في الأعياد وغيرها جوانب من السياسة، والتنديد بمن يعارض ولاية الخلفاء الأمويين، ويندِّدون بما كان من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه -وهو الذي علىٰ الحق- وإن كان خلاف الصحابة ينبغي ألا يخاض فيه.

لكن هـٰذا الحديث أعطىٰ بيان درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالناس تختلف قدراتهم، والمنكر لا ينحصر في موقع، ما كان من منكر في الشارع أو المسجد أو المنزل أو في أي ملتقىٰ من الملتقيات علىٰ من قَدِر أن يغيّر المنكر بيده دون أن يتعرّض لما لا يحتمله أو دون أن يسبب تغييره باليد منكرا أشد نكارة مما غيِّر كان عليه أن يفعل.

فإن ترتب علىٰ تغيير المنكر باليد منكر مساوٍ أو أغلظ وجب الكف؛ لأن درء المفاسد مقدم علىٰ جلب المصالح، فإن كان المنكر الذي يترتب علىٰ التغيير باليد أقل أثرًا وضررا من المنكر الذي يراد تغييره غُيِّر المنكر، وإذا كان التغيير باليد خصت به جهة معينة، فإن التغيير باللسان إن اتصف المغير بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق فقلّ أن يُمنع ذلك؛ لأن الرفق يزين الأعمال ويجملها ويسهل

قبولها، ويخفف من معارضة ذلك، ولذلك أمر الله عبده وخليله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفق، فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما دخل الرفق في شيء إلا زانه**» وقال: «**إن الله يعطي علىٰ الرفق ما لا يعطي علىٰ العنف**».

فإذا استعمل الإنسان لسانه بلطف ورفق وإحسان نفع بإذن الله، أما إذا كُمِّمت الأفواه، وعقلت الألسن، وعوقب كل من يأمر بخير أو ينهىٰ عن شر، فإن هناك تغييرا للمنكر لا يطّلع عليه أحد سوىٰ الخلائق العليم، فليغيّر بقلبه، وهٰذا التغيير لا يعذر أحد بتركه، لا يعذر خاص ولا عام إذا تركه؛ لأن التغيير بالقلب أن يبغض الإنسان هٰذا المنكر، ويكره الفعل الذي تأذىٰ به، ويكره مرتكب المنكر بقدر ما ارتكب؛ لأن الإنسان قد يرتكب منكرا وتكون له جانب خير يأمر فيها بمعروف، فيكره بقدر ما عنده من منكر ويحب بقدر ما عنده من خير ومعروف.

هٰذا الحديث من أعظم ما ينبغي أن يهتم بمعرفته ويهتم للعمل به من أراد أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر.

ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له شأن عظيم في الإسلام.

المعروف هو ما يعرفه ذوي الفطر السليمة والمناهج المستقيمة.

والمنكر هو ما تنكره العقول الراشدة ويستهجن ويستحيا من حصوله.

وبلادنا في المملكة -والحمد لله- قد تميزت في العالم الإسلامي بأنها آخذة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع عصور الدولة السعودية؛ لكن الأمر تارة يقوىٰ ويتّصف القائمون به بالحزم والعناية التامة، وشد الأزر، وتارة يحصل ما يحصل من ضعف.

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لهذا الدين إقبالا وإدبارا، وإن من إقبال الدين أن تفقه القبيلة كلها**» ليس معنىٰ أن تفقه القبيلة تكون فاهمة للفقه، إنما تكون فاهمة للدين مهتمة به، وإن تفاوتوا في ذلك، «**حتىٰ لا يكون إلا المنافق والمنافقان فهما مغموران فيها، وإن من إدبار الدين أن تُعْرِض القبيلة ونحوها حتىٰ لا يكون إلا المؤمن والمؤمنان، فيكون المؤمنان مغمورين**».

لكن الرسوم ولله الحمد باقية، والإنسان يمرض ويشفىٰ، والخير ولله الحمد قد بقي الشيء الكثير، وهم محتاجون أيضا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حاجة ملحة؛ بالاتصاف بالرفق

والأناة والتسهيل بما يحقق استمرار بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقلّل بإذن الله تعالىٰ تفشّي المنكرات، والناس كلما اتسعت دوائر التنعّم، وشعروا بشيء من الغناء خرج كثير منهم عن طريق السوي، وقد قال الله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق]، فنسأل الله العفو والعافية.



الْـحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالثَّلاثُونَ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِـعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ. وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا؛ الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَىٰ هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّـرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْـمُسْلِم، كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَىٰ الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هـٰذا حديث عظيم هام، المشتمل علىٰ هـٰذه الإرشادات والبيان، ينبغي للمسلم أن يتخلّق بما يدعو فيه النبي إلىٰ خير صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما يحذر من شر.

المسلمون إخوة، ومن شأن الأخوة أن يترتب معها التعاون علىٰ البر والتقوىٰ والتآلف، ألا يحقر أحد أحدا، ألا يبغي أحد علىٰ أحد، ألا يظلم أحد أحدا.

نهىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن التناجش، والتناجش إن كان في البيع فهو من الغش والخداع والإضرار، والنجْش أن يعمل الإنسان العمل الذي لا يحل، وهو أن يزيد في السلعة للإضرار لمن من هو حريص علىٰ شرائها.

والتدابر يلتقيان فيعرض هـٰذا ويعرض هـٰذا، كأن كل واحد إذا رأىٰ الثاني استدبره وجعله خلف ظهره، من شأن الإخوة التحابب.

من شأن الإخوة ألا يتحاسدوا، والحسد المقيت هو أن يتمنىٰ الإنسان زوال نعمة أخيه، إما أن يتمنىٰ زوالها وأن ينال مثلها أو أفضل، أو إذا لم يحصل له شيء فتزول هـٰذه النعمة.

وأما الحسد الممدوح فهو الإعجاب بما عليه الأخ المسلم من مال وعمل بالمال فيما يرضي الله، فيغبطه، وتسمىٰ الحسد، ويتمنىٰ أن يساويه ليعمل مثل عمله في القرب، فهذا مما بيّن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جوازه «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل أعطاه الله مالا، فهو ينفق في وجوه البر**» أو كلمة نحوها.

وأما الحسد السيئ الذي هو نتائج الكراهية والحقد، فهو الموروث عن إبليس الذي حسد آدم علىٰ ما أكرمه الله به، فتكبر وأبىٰ أن يسجد لما أمره الله.

(**كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَىٰ الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ**) لا يحل للمسلم أن يتعرض لدم أخيه المسلم، وقد قال

النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزال المسلم في فسحة في دينه، ما لم يصب دما حراما**»؛ أي: ما لم يكن بغير حق، والحديث الذي مرّ «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه**».

والأحاديث يوضح بعضها بعضا، وحديث: «**إن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام**» فيكون معصوم الدم إلا إذا ارتكب في الإسلام ما يقتضي إباحة دمه؛ من زنىٰ أو قصاص أو الخروج علىٰ جماعة المسلمين من قطع طرقهم، أو كان داعية بدع ولا ينكفّ شره إلا بالقتل، فيكون حكمه حكم الصائل المعتدي لو انكفّ بغير القتل ما قتل. يعني لم يحل قتله، فإذا لم ينكف الصائل عن صيالته إلا بالقتل قتل.

كذلك ناشر الفساد والمروج له، أو الساعي في إشاعة الزنىٰ وتسهيل الوصول إليه، ولا ينكفّ عن عمله السيئ المشين إلا بالقتل= قتل، والداعي إلىٰ البدع الإلحادية يعني أن كلما اقتضت نصوص الشريعة وقواعدها الكف عنه، فإن من لم ينكفّ إلا بقتله يقتل.

هـٰذا الحديث الذي اشتمل إلىٰ هـٰذه الإشارات العظيمة، والنصائح الجليلة، من أهم ما ينبغي للمسلم أن يتعاهده، وإذا اتصف بخلق تسلَّط عليه أضواء هـٰذا الحديث، ووضعه في كفة ميزانه، فما تبين له أنه لا يتّفق مع مقتضىٰ ما دل عليه الحديث تجنبه، (**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ**) يعني: يكفيه من الشر إذا احتقر أخاه المسلم؛ أي: أن هـٰذا الشر الذي يكون فيه كفاية لعذابه وإذلاله، (**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْـمُسْلِم، كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَىٰ الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ**) يبين صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ التقوىٰ إنما هي في القلب في الصدر (**التَّقْوَىٰ هَاهُنَا**) يشير إلىٰ ذلك ليتعاهد المسلم قلبه بالعلاج، علاجه لا تحتاج إلىٰ نقود تبذل، وإنما يعالج القلب بتعظيم العبادات والإكثار منها؛ من القرب، وتعاهد ذكر الله في كل آن، عند دخول المسجد والخروج منه، في بدأ الصلاة وبعد انتهائها، في دخول المنزل والخروج منه، عند بدء الأكل والانتهاء منه، حتىٰ فيما يتعلق بعلاقة الرجل بزوجته يذكر الله، كما جاء في الحديث أن الإنسان إذا ذكر الله عند قضاء حاجته سمّىٰ الله، لو رزق الزوجان ولدا من تلك الحالة لم يقربه الشيطان، الأذكار هـٰذه لها شأن عظيم في طهارة النفس وشفاء أمراضها، وصد الأعداء الذين يتربّصون بالإنسان في كل آن، والموفق أن استعان بالله.



الـحَدِيثُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُـرَبِ الـدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَـتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَـوْنِ أَخِيـهِ. وَمَـنْ سَـلَكَ طَرِيقًـا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْـجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرّحْمَةُ وَحَفّـتْهُمُ الْـمَلَائِكَةُ، وَذَكَـرَهُمُ اللهُ فِـيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْـرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِهَـٰذَا اللَّفْظِ.

هـٰذا الحديث جليل، فيه الحثّ لكل مسلم أن يأخذ بالأسباب التي تخفّف عنه مصائب الدنيا ومصائر الآخرة، فإن من نفس عن مؤمن نفّس الله عنه، ابن آدم معرّض لكروب الدنيا؛ لكن كرب يوم القيامة لا يدانيه شيء، فمن نفّس عن مؤمن يبتغي بذلك وجه الله نفّس الله عنه من كرب الدنيا ونفس عنه من كرب يوم القيامة، ومن يسر علىٰ معسر يسّر الله عليه، سهل عليه أموره في الدنيا والآخرة.

ومرّ في حديث الرجل الذي كان يداين الناس، لما مات جيء به فسئل، سأله الله: ما الذي عمل، قال: لا أعلم كبير عمل غير أني كنت ذا مال، فأداين الناس، وكنت آمر غلماني -خدمه ومماليكه- أن ييسروا علىٰ الموسر -الموسر ييسرون عليه- وأن يتجاوزوا عن المعسر -يعفون عنه- فقال الله جل من قائل: نحن أحق منك بالجواز. فجاوز عن عبده؛ فأدخله الله الجنة.

فالإنسان الذي يعمل بالإحسان يدركه، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمٰن]، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء:٧]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمّل:٢٠]، (وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ)، إذا كنت دائنا لإنسان وتقاضيت حقّك؛ ولكن علمت أنّ الأمر شاقّ عليك يرهق بالتسديد أو يعجز، فتذكّر أنك محتاج إلىٰ تيسير الله لك في الدنيا، ومحتاج إلىٰ التيسير الأعظم في الآخرة، فابذل الخير تجد ثوابه عند الله، (وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ)، ومن فرج علىٰ مؤمن كربة من كرب الدنيا، ما أكثر الكرب في الدنيا، فمن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عليه كربة من كرب يوم القيامة، وكرب يوم القيامة كرب بالغة الشدة، وفي ذلك الوقت لا عمل؛ وإنما هو جزاء وحساب، أما العمل فهو

في الدنيا.

(وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ.) عون أخيه في أمور الدنيا وفي أمور الدين، إرشاده ونصحه، ومنعه عن الشر، حجزه عنه نصر له، كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الآخر: «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**» قال الصحابة: هـٰذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال: «**تكفوه عن الظلم**»، فمن الإحسان إلىٰ الناس منعهم عن ارتكاب المنكرات، وهـٰذا من عونهم.

ثم يبين في الحديث أنّ الاجتماع لاستماع كلام الله جَلَّوَعَلَا وتدارسه لأسباب تنزل السّكينة، وغشيان الناس الرحمة، وأن تحفهم الملائكة، ويذكرهم الله لمن عنده، فإذا الله ذكر عبدا من عباده بالخير فهـٰذا هو الفلاح والسّعادة، فنسأل الله ألا يحرمنا هـٰذا الفضل العظيم.



الْـحَدِيثُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيه عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْـحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ. ثُمّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» بِهَـٰذِهِ الْـحُرُوف. (١)

هـٰذا الحديث في بيان أن أعمال العباد محفوظة، وأن الإنسان المسلم إذا همّ بالعمل الصالح لكنه عاقه عائق عن العمل كُتب له من الأجر كأنه عمل ذلك العمل، (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْـحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ. ثُمّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ) هـٰذا الاختلاف بين الناس في الحسنات مردّه إلىٰ الإيمان، فإنّ من كان إيمانه أقوىٰ ورغبته في أداء العمل وارتياحه له أتم كانت حسناته أكثر، لذلك يقول أحد الصحابة وأظن عمر: ما فضلنا أبو بكر بصلاة ولا زكاة؛ ولكن بالإيمان الذي وقر في القلب. أي ولهذا فإنه وزن أبو بكر بالأمة فوزنها -يعني في الرؤية.

قوة الإيمان لها أثرها في زكاء الأرباح وزيادتها، من عمل حسنة تكتب له أضعافا مضاعفة، فإن لم يعملها؛ كان يريد عملها لكن لم يتيسر له ذلك، تكتب له حسنة تامة.

أما إن عمل السيئة، فالسيئات لا تضاعف، ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر:٤٠]، إن عملها كتبت سيئة واحدة.

في الحسنة قال (حَسَنَةً كَامِلَةً) تضخيمًا لها، تكرما من الله جَلَّوَعَلَا وإحسانا علىٰ عباده، أما السيئة قال: (وَاحِدَةً) كأنها غير قابلة للزيادة.

---

(١) فَانْظُرْ يَا أَخِي وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَىٰ عَظِيمِ لُطْفِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَأَمَّلْ هٰذِهِ الْأَلْفَاظَ.

وَقَوْلُهُ: «عِنْدَهُ» إِشَارَةٌ إِلَىٰ الِاعْتِنَاءِ بِهَا.

وَقَوْلُهُ: «كَامِلَةً» لِلتَّأْكِيدِ وَشِدَّةِ الاعْتِنَاءِ بِهَا. وَقَالَ فِي السَّيِّئَةِ الَّتِي هَمَّ بِهَا ثُمَّ تَرَكَهَا «كَتبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً» فَأَكَّدَهَا بِـ«كَامِلَةً» وَإِنْ عَمِلَهَا، كَتبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَأَكَّدَ تَقْلِيلَهَا بِـ«وَاحِدَةً» وَلَـمْ يُؤَكِّدْهَا بِـ(كَامِلَةً)، فَلِلَّهِ الْـحَمْدُ وَالْـمِنَّةُ، سُبْحَانَهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ.

ثم في آخر الحديث أن الإنسان لا ترفعه مكانته الدنيوية، ولا انتسابه لأجداد وآباء لهم نفوذ في هٰذه الدنيا، من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه؛ لأن النسب كلنا من آدم وآدم من تراب، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، الفضل إنما بالتقوىٰ، من كان أتقىٰ لله أشد خوفا منه، وأرغب فيما عنده، وأطوع لأوامره وأشد انكفافا عن نواهيه كانت له المنزلة.

نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يصلح حالنا وحال المسلمين في كل مكان، إنه مجيب الدعاء، ونبدأ بالأسئلة.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا وسَيئاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وخليله وَرَسُولُهُ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحابته ومن اهتدىٰ بهديهم، وتمسك بسنتهم إلىٰ يوم الدين.

ونسأل الله أن نكون جميعا من أتباعه الصادقين في المتابعة المنتفعين بذلك، إنه جواد كريم، ولنبدأ بإذن الله.



الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُونَ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

هـٰذا الحديث رواه البخاري وغيره، وهو ما يسمَّىٰ بحديث الولي، وتكلّم بعض الحفاظ في هـٰذا الحديث، وقال: لولا هيبة «الجامع الصحيح» لقلت فيه كذا وكذا.

ومع ذلك فإن معانيه ظاهرة جليّة؛ لأنّ من عادىٰ أحدا من أولياء الله لأجل ولايته لله يكون أهلا لأن يُحاربه الله جَلَّوَعَلَا، ومن حاربه الله حربه، وأما من عادىٰ وليا من أولياء الله لأمـور دنيوية -ولا تعلُّق بالعداوة بأمر الدِّين- ففي هـٰذا يتعادىٰ الإخوة والأقارب علىٰ أمور الدنيا، إنما العداوة التي يُمقت صاحبها ويتعرّض لعذاب الله وعقابه هي أن يعادي الإنسانُ آخرَ؛ لأنه قائم بطاعة الله متمسك بدينه فيبغضه لأجل ما هو فيه من أمور دينه، هـٰذا من أعداء أولياء الله لولايتهم بالله.

ومن آذنه الله جَلَّوَعَلَا بالحرب فهو محروب مغلوب.

وفي هـٰذا الحديث بيان أهم الأمور وألزمها في أمور العبادات أن يتقرّب الناس لربهم جَلَّوَعَلَا بأداء الفرائض التي افترضها عليهم، فإنَّه لا يحاسبهم علىٰ النوافل وإنما يُحاسبهم علىٰ أداء الفرائض «**فرض فرائض فلا تضيعوها**».

ولهذا قال العلماء: إنَّ الإنسان عليه ألا يقدِّم عمل قربة من القُرَب، وعليه مثلها فرض من الفرائض، فمثلا الصِّيام لا يصوم ستة شوال قبل أن يصوم ما عليه من قضاء رمضان؛ لأنه لو مات ولم يصم الست من شوال ما عوقب، ولو مات ولم يتمَّ صيام رمضان مع قدرته علىٰ صيامه وانتفاء الموانع حوسب.

يقول: (**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ**)، يقول جَلَّوَعَلَا: (**وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**) إذا أحب الله جَلَّوَعَلَا عبدا حماه وحفظه وصانه عن كل شيء يضرَّه، إلا ما كان سببا من أسباب عُلُوِّ منزلته عند الله يوم القيامة، فإنَّ الإنسان ولو كان من أحباب الله جَلَّوَعَلَا وأوليائه يصاب بالهم والمرض والحُزن.

وهـٰذه أمور يريد الله بها رفعة عبده، ولهذا فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

يقول: (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ) النتيجة أن محبوب الله جَلَّوَعَلَا يُصان عن الإقدام علىٰ المحرمات وعلىٰ المكروهات، ويُصان أن يتعلق بالأمور الدنيوية بحيث يقدمها علىٰ أمور الدين والآخرة.

فيقول: (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ) فلا يتلذذ باستماع حرامٍ من لهو وطرب، أو غيبة ونميمة، أو استهزاء بعباد الله، أو غير ذلك مما لا يكون مباحا أو لا يكون قربة؛ بل إنّ استهلاك الوقت في المباحات من شأنها أن يضيّق الأوقات علىٰ أداء الفرائض والمندوبات.

(كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ) لا يتلذّذ باستماع شيء إلا إذا كان استماعه مما يحبه الله جَلَّوَعَلَا من عبده أن يستمع له.

(وَبَصَرَهُ) لا ينظر إلىٰ ما لا يحل له؛ ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، يعلم أن هـٰذه نِعَمٌ من الله جَلَّوَعَلَا علىٰ عبده، إذا استغلّها فيما يعود عليه بالأجر والثواب بورك له فيها، ولذلك قال بعض السلف لما كبرت سِنُّه وضعفت حواسه، قال: هـٰذه أمور حفظناها في شبابنا فحفظها الله لنا في شيخوختنا وهرمنا. أو كلمة نحوها، ولا يمنع ولا يضاد هـٰذا ما قد يقال: إن بعض العلم يعتريه الاختلاط في آخر عمره؛ لكنه يحفظ عن أن يقع تحت وطأة المحرمات.

(كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ) لا تطمح نظراته وتطيش إلىٰ ما لا يليق؛ بل يظهر عليه أثر الولاية، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]، يظهر عليه أدب الخشوع والورع والتُّقىٰ لحفظ الله له.

يقول: (وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا) لا تمتدّ إلىٰ ما لا يحلّ الامتداد إليه، لا من مكاسب ولا غير ذلك، وإنما تمتد لما لا يكره الله امتدادها إليه.

(وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا) تُحفظ فلا تنطلق سائرة إلىٰ مواطن الشُّبه والشهوات، وإنَّما هي خطوات محكمة يطمح الإنسان أن تكون في كل أحوالها ارتفاع درجة وحطّ خطيئة، وإذا وَفّق اللهُ العبدَ بحفظ هـٰذه الحواس والجوارح فتمَّت صيانتها بإذن الله تعالىٰ، جاءت لصاحبها بالمكاسب التي لا حد لها.

ثم يقول: (وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ) في بعض الألفاظ له بقية «**يكره الموت ولابد له منه، وأكره مساءته**».

هـٰذا الحديث الذي يسمىٰ حديث الولي، وألف بعض أهل العلم شرحا له بخصوصه، الإنسان ليكون من أولياء الله عليه أن يحاسب نفسه أن يصدها عما حرم الله أن يهتم بأداء فرائض الله أن يتخلق

بالأخلاق الكريمة، التي يحبها الله في مظهره وزينته، ومخاطبته للآخرين، والرضا بما كتب الله له، وألا تطمح نفسه ونظراته إلىٰ ما لم يحصل بيده، فقد يكون الله جَلَّوَعَلَا حماه، فإن من عباد الله من لا يصلحه إلا أن يكون قليل ذات اليد، ومنهم خلاف ذلك، ولله له في خلقه وتدبيره بهم شؤون، والموفق من اتقىٰ الله في سره وعلانيته.



الْـحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْـخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

هـٰذا الحديث فيه بشارة للمؤمن، بشارة لهذه الأمة، الله يعلم ما سيتعرّض له عباده من إكراه؛ يُكرهون علىٰ ما لا يريدون.

فمن واسع رحمته أن تجاوز لهم عما أكرهوا عليه وعما سهوا ووقعوا فيه، ما لم يتعمدوا الإقدام علىٰ ما يحب الله جَلَّوَعَلَا الإقدام عليه.

وفي معنىٰ هـٰذا الحديث ما اشتملت عليه أواخر سورة البقرة، فإنها لما نزلت ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، شق ذلك علىٰ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وقالوا مقالتهم المعروفة، فقال لهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بل قولوا: سمعنا وأطعنا**»، فأنزل الله بعد ذلك ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وهـٰذا الحديث من معانيه ما دلت عليه هذه الآية أن الله جَلَّوَعَلَا رفع عن هذه الأمة الخطأ؛ أن تعمل عملا مخطئة فيه لا تقصد الشر؛ وإنما زل الإنسان بدون إرادة، النسيان، فالإنسان ينسىٰ صلاة من الصلوات، ينسىٰ وهو صائم فيأكل، وفي مثل ذلك صرّح المشرع صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن النسيان لا يُفسد العبادة كما في الحديث الصحيح:

في الصلاة: «**من نام عن صلاة أو نسيها فيصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك**».

والصيام: «**من أكل أو شرب ناسيا فإنما أطعمه الله وسقاه**».

فمن لطف الله بهذه الأمة تجاوز عنها، وقد أعطىٰ الله جَلَّوَعَلَا عن هـٰذه الأمة ما لم يعطه أمة من الأمم، كما في حديث المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي**» ذكر أنه نُصِرَ بالرعب مسيرة شهر، وأُحلّت له الغنائم.. إلىٰ آخر الحديث.

تكملة الحديث الساق يحدث المرء نفسه دون تكلم بكلام، عفا الله عن ذلك؛ لأن الإنسان قد يتلجلج في خاطره أمور لو تكلم بها بلسانه لشعر بالفزع، فقال: «**وما حدثت بها أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل**»، وسئل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ذلك فقال قائلهم: لئن يخر أحدنا من السماء أحب إليه من أن

يتفوه به، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ذاك محض الإيمان**» أي: كون الإنسان إذا جال في خاطره شيء مما ينافي الشرع كان أهون عليه سقوطه من السماء من أن يتكلم بذلك، وهـٰذا من لطف الله بالعباد، ومن بيان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ما ترك خيرا إلا بينه ودلنا عليه، حتىٰ تركنا علىٰ محجة بيضاء لا التباس فيها.



الْـحَدِيثُ الأَرْبَعُونَ

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْـمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِـمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِـمَوْتِكَ.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

ثم في هـٰذا الحديث حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) الغريب وعابر السبيل لا يفكر إلا في حاجة الوقت الذي يتوقع بقاءه فيه فقط، لا يفكِّر في تشييد القصور، ولا امتلاك الدثور، وإنما يتوقع النهوض من مقيله أو مبيته فيرحل، (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) فإنّ عابر السبيل والغريب بين قوم لا يعرفهم ولا يعرفونه لا يفكر بالاستقرار عندهم، والناس بذلك الزمن قلّ أن يُقيم غريب عند غير أهله وعشيرته، فيقول: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) فالدُّنيا الرحلة عنها بمنزلة الغد، كما سمعنا في قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر:١٨]، كأن الرحلة من هـٰذه الدنيا كلها لكل أحد وشيكة في [الصلاح ..] (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ).

ويوضح ابن عمر ها المعنىٰ يقول: (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ)، ومعنىٰ هـٰذا ما لزمك في المساء وتعلم أنه لزمك لا تنتظر في قضائه الصباح إذا كان في إمكانك أن تقضيه في المساء؛ لأنك لا تدري هل ستبقىٰ إلىٰ الصباح، أو أنك إذا أصبحت ستصاحبك القدرة التي هي معك الآن.

(إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْـمَسَاءَ)، المطالب والرغبات وتحصيل أسباب الأمن فرص، والعاقل لا تمرّ به فرصة يمكن أن يدرك فيها ما يحقق له أمنا إلا ويغتنم الفرصة.

(وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِـمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِـمَوْتِكَ.) من غِناك لفقرك، الإنسان يسأل يوم القيامة، لا تزول قدما العبد حتىٰ يسأل عن أربع: عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وماله من أين جمعه وفيما أنفقه، وعلمه كيف عمل به. مسائل أربع كلٌّ يناقش عليها.

(وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِـمَرَضِكَ) الإنسان إذا كبر في سنٍّ أو مرض أو سافر، وكانت له أعمال في حال

الصحة والإقامة، إذا سافر عاقه السفر عن كثير، ويُكتب له من الأجر مثلُ ما كان يؤده أيام إقامته وصحته وشبيبته، وهـٰذا من لطف الله جَلَّ وَعَلَا لعباده وجميل إحسانه وعظيم فضله.



الْـحَدِيثُ الْحَادِي وَالأَرْبَعُونَ

عَنْ أَبِي مُحَمَّد عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُـولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُـؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِـمَا جِئْتُ بِهِ».

حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رُوِّينَاهُ فِي كِتَابِ الْـحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

هـٰذا الحديث من الأحاديث التي تتعلّق بكمال الإيمان.

(**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ**) أي: ميله يكون تبع الشريعة؛ (**تَبَعًا لِـمَا جِئْتُ بِهِ**) لذته وارتياحه وبعث سروره ابتاع ما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يفكِّر في ليت هـٰذا الشيء مباح لي، إنما يفكر في: هل هـٰذا الأمر رضا لله واتباع لهدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمنىٰ أن يسير عليه.

(**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا**) لما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محبَّته ورغبته، يحب أن ينتصر الحق ولو كان عليه أو علىٰ قرابته وأصدقائه، لا يهمه أن يكون الفائز بالحق فلانا إذا كانت قضايا وخصومات، أو أن يكون مدرك هـٰذا الخير وتفصيل هـٰذا المال فلان، يهمه أن يكون الأمر رضا لله جَلَّ وَعَلَا.

في ذلك صعوبة بالغة علىٰ كثير من الناس؛ لكن الإنسان إذا عوّد نفسه أنه يثاب علىٰ كثير من الأمور، وإن لم يؤدِّ عملا لها، فإنما ومحبته لها تحقّق له الثواب كحديث: المرء يحب القوم ولمّا يعمل بعملهم، قال: «**المرء مع من أحب**»، ولم يعمل كعملهم، ولهذا قال: أحب الله وأحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر؛ يعني أنه يحب هٰؤلاء لما يرىٰ من كمال عملهم.



الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ

عَنْ أَنَسِ [بْنِ مَالِكٍ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:
يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي.
يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ.
يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».
رَوَاهُ التِّرمِذِي، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

هـٰذا الحديث فيه بيان أثر التوحيد علىٰ مستقبل ابن آدم؛ لأن من مات موحِّدا غير جاحد لفرائض الدين، يعفو الله عنه جَلَّ وَعَلَا، وفيه بيان أثر الاستغفار، فإنَّ الاستغفار ذو شأنٍ عظيم في حطّ الخطايا وتكفيرها؛ بل حتَّىٰ في أمور الدنيا وتحصيلها كما مرّ في دعاء نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومثله دعاء بعض الأنبياء، فالاستغفار يكفر الذنوب فيه إعانة للعبد علىٰ تحصيل مطالب الدنيا المباحة.

والله يقول: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ) كذا؛ أي: لو بلغت ذنوبك عنان السماء (لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ) لصارت ذنوب العبد مالئة الآفاق، وبلغت السماء، العنان: العلو، (اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ) يقول: (وَلَا أُبَالِي)، لا يبالي الله جَلَّ وَعَلَا، لا مكره له، إنما تمتنع مغفرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ من مات مشركا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢]، من مات علىٰ الشرك الأكبر فلا أمل أن تتحقق له المغفرة، الله نهىٰ نبيه محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستغفر لمن همّ بالاستغفار لهم ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة:١١٣] إلىٰ آخر الآية، ولهذا بعد نزول هـٰذه الآية لم يستغفر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد مات علىٰ الشرك.

يقول: (لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) فالإنسان محتاج لأن يتفقد أموره وتصرُّفه وكلامه؛ لئلا تزِلّ به القدم، وإن كان من نشأ علىٰ التوحيد وعاش في مجتمعٍ لا أثر للشرك فيه، قبل أن يقع في الشِّرك، غير أنه لا يأمن، فإن أكمل النَّاس إيمانا محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يكثر من دعاء: «**يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك**» ولما قيل له: أتخاف وأنت رسول الله قال: «**ومن يؤمِّنني قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمـٰن**»، الإنسان

لا في حال حياته لا يركن إلىٰ الطَّمع في العفو؛ بل يركن إلىٰ جانب الخوف، وإذا كان في حال قُرب الاحتضار فليركن إلىٰ عظيم الرَّجاء، فإن الإنسان إذا كان في حال الصحة والقوة والقدرة ينبغي أن يكون الخوف ماثلًا بين عينيه، وإذا كان في حال الهرم والعجز وانتظار الرَّحيل فليغلب عليه الرجاء من الكريم الأكرم.



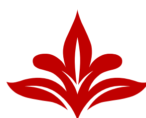
قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ:

فَهٰذَا آخِرُ مَا قَصَدْتُهُ مِنْ بَيَانِ الْأَحَادِيث الَّتِي جَمَعَتْ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ، وَتَضَمَّنَتْ مَا لَا يُحْصَىٰ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ؛ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ وَالْآدَابِ، وَسَائِرِ وُجُوهِ الْأَحْكَامِ،[١] وَللهِ الْحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا.

لا شك أن هـٰذا الكتاب «كتاب الأربعين النووية» كما أشرت في البداية كما يبدو -والله أعلم- أن صاحبه ألفه علىٰ نيةٍ صالحة، وكان هـٰذا الإمام -والله أعلم- مصحوبًا بالتوفيق والنية الصالحة.

فكتاب «رياض الصالحين» كتاب عظيم مهم يستفيد منه كل مطالع له، جمع من الحكم والآداب والخيرات التي لا حدود لها، ما الله به عليم، وقلّ أن تجد بيتا أحد من المسلمين ممن يحسن قراءة اللغة العربية ويحبُّ الخير إلا وفيه نسخة من هـٰذا الكتاب، ثم صار له القبول العجيب كـ«كتاب الأربعين»، مما يؤكّد صادق نية المؤلف، وجمْع هـٰذه الأحاديث وتأليف ذلك الكتاب علىٰ أساس نيةٍ صادقة في نفع العباد، ولذلك يكتسب الشيء الكثير من الترحُّم عليه في قراءة الأحاديث التي جمعها والاطلاع علىٰ كتابه ذاك، مع أنه يعدُّ من محرّري المذهب الشافعي.

نيتي أن نكمّل قراءة الأحاديث التي أضافها الحافظ ابن رجب إلىٰ الأربعين، فأتمَّ بها خمسين حديثا، فلعنا إن شاء الله تعالىٰ نبدأ في بقيتها يوم غدٍ، ولعلنا نأتي بنسخة من بقية الأحاديث في ورقة توزَّع علىٰ الحاضرين، ونسأل الله التوفيق للجميع.



(١) وذيل المصنف كتابه بباب مختصر لضبط خفي الألفاظ فقال في هطا الموضع: وَهَا أَنَا أَذْكُرُ بَابًا مُخْتَصَرًا جِدًّا فِي ضَبْطِ خَفِيِّ أَلْفَاظِهَا مُرَتَّبَةً؛ لِئَلَّا يُغْلَطَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَلِيَسْتَغْنِي بِهَا حَافِظُهَا عَنْ مُرَاجَعَةِ غَيْرِهِ فِي ضَبْطِهَا.
ثُمَّ أَشْرَعُ فِي شَرْحِهَا -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي كِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ، وَأَرْجُو مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يُوَفِّقَنِي فِيهِ لِبَيَانِ مُهِمَّاتٍ مِنَ اللَّطَائِفِ، وَجُمَلٍ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَعَارِفِ، لَا يَسْتَغْنِي مُسْلِمٌ عَنْ مَعْرِفَةِ مِثْلِهَا، وَيَظْهَرُ لِمُطَالِعِهَا جَزَالَةُ هٰذِهِ الْأَحَادِيثِ وَعِظَمُ فَضْلِهَا، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ النَّفَائِسِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا، وَالْمُهِمَّاتِ الَّتِي وَصَفْتُهَا، وَيَعْلَمُ بِهَا الْحِكْمَةَ فِي اخْتِيَارِ هٰذِهِ الْأَحَادِيثِ الْأَرْبَعِينَ، وَأَنَّهَا حَقِيقَةٌ بِذَلِكَ عِنْدَ النَّاظِرِينَ.
وَإِنَّمَا أَفْرَدْتُهَا عَنْ هٰذَا الْجُزْءِ؛ لِيَسْهُلَ حِفْظُ الْجُزْءِ بِانْفِرَادِهِ، ثُمَّ مَنْ أَرَادَ ضَمَّ الشَّرْحِ إِلَيْهِ فَلْيَفْعَلْ وَللهِ عَلَيْهِ الْمِنَّةُ بِذَلِكَ، إِذْ يَقِفُ عَلَىٰ نَفَائِسِ اللَّطَائِفِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ كَلَامِ مَنْ قَالَ اللهُ فِي حَقِّهِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وخليله وَرَسُولُهُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحابته.

فأسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يثبتنا جميعا بالقول الثبت وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعيذنا من الأشر والبطر، والخيلاء والكبر، وأن يهيئ لنا جميعا من أمرنا رشدا، وأن يهيئ لأمتنا الإسلامية في كل مكان من أمرها رشدا، إنه مجيب الدعاء.



قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ لتكملة الأربعين:

الْـحَدِيثُ الثَّالثُ والأرْبَعونَ

[وَهُوَ الحَدِيثُ الأَوَّلُ مِنَ الزِّيادةِ الرَّجَبِيَّة]

عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلْحِقُوا الفَرائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا أَبْقَتِ الفَرائِضُ فَلِأَوْلَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٍ**».

خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث عمدة هامّة في أحكام الفرائض، وأن أصحاب الفروض مقدَّمون علىٰ غيرهم، وهناك من الوارثين من لا يسقطه أحد، الأب والأم لا يسقطهما أحد، والزَّوجة لا يسقطها أحد، والبنون والبنات لا يُسقطهم أحد.

إلا الوصف وهو إذا اتصف أحدهم مما يمنع من الميراث، كما يقول الرَّحبي:

وَيَمْنَعُ ٱلشَّخْصَ مِنَ ٱلْمِيرَاثِ وَاحِدَةٌ مِنْ عِلَلٍ ثَلَاثِ
رِقٌّ وَقَتْلٌ وَٱخْتِلَافُ دِينِ فَٱفْهَمْ فَلَيْسَ ٱلشَّكُّ كَٱلْيَقِينِ

من خلا من هـٰذه الأوصاف من هٰؤلاء وهم الأبوان والبنون والبنات والزَّوجات أو الأزواج، هٰؤلاء لا يسقطهم إلا الوصف.

لكن بعضهم إذا انفرد بالمال أخذه؛ كالأب والابن.

وبعضهم ولو انفرد لا يأخذ المال؛ كالزوجة والزوج والبنت، فمن انفرد من هٰؤلاء فله نصيبٌ مفروض.

وقوله: (**أَلْحِقُوا الفَرائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا أَبْقَتِ الفَرائِضُ فَلِأَوْلَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٍ**) يسقط في بعض الأحوال الأخوة مع فقد البنين والبنات، وهي المسألة التي اختلف العلماء فيها المشرَّكة:

من أهل العلم من شرّك من الورثة بين الإخوة الأشقاء والإخوة لأم.

ومنهم من لم يشرّك.

ولكن هـٰذا الحديث عمْدة تقديم الفرائض ولو استغرقت الفُروض التركة.

وهناك مسائل خفيفة في بعض أمور الفرائض كحال الجد مع الأخوة، وتنوّع نصيبه إلَّا أنه لا يسقط؛ لا يسقط الجد لأب سوىٰ الأب فقط، له عند بعض العلماء حالات كما ذكر صاحب الرحبية عن الإخوة:

وَحُكْمُـــهُ وَحُكْمُهُـــمْ سَـــيَاتِي مُكَمَّـــلَ ٱلْبيَـــانِ فِي ٱلْحَـــالَاتِ

إلخ.

حديث (فَمَا أَبْقَتِ الفَرائِضُ فَلِأَوْلَىٰ رَجُلٍ) يعكّر عليه ميراث الأخت إذا لم يكن للمتوفىٰ أخوة ذكور ولا بنون؛ فإن الأخوات الشقيقات أو لأب معصبات، كما يقول الرحبي:

وَٱلْأَخَـــوَاتُ إِنْ تَكُـــنْ بَنَـــاتُ فَهُـــنَّ مَعْهُـــنَّ مُعَصَّـــبَاتُ

وما وراءهن لا تعصِّب النساء بمفردها، إلَّا ما قيل في تعصيب المعتقة في قول الرحبي:

وَلَـيْسَ فِي ٱلنِّسَـاءِ طُـرًّا عَصَـبَهْ إِلاَّ ٱلَّـــتِي مَنَّـــتْ بِعِتْـــقِ ٱلرَّقَبَـــهْ

هـٰذا مجمل ما يتعلق بإلحاق المواريث من أهل الفروض، وإذا بقي فلأقرب العصبات، لو كان للإنسان مال، وأخذ أهل الفروض فوضهم ولم يبق سوىٰ ابن عم في الثالثة أو الخامسة أو أقصىٰ من ذلك، وهو الأقرب بالنسبة للميت من جهة الأب أخذ ما فضَل عن ذوي الفروق.



الْـحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالأرْبَعَون

[وَهُوَ الحَدِيثُ الثَّانِي مِنَ الزِّيادةِ الرَّجَبِيَّة]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ».

خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث حديث هام فيما يتعلق المحرمات، وكنت سئلت عن الجمع بين الأخت من الرضاعة مع أختها من الرضاع، وذهاب إلىٰ قول من يقول: إن التحريم خاص بالأنساب، وأما المصاهرات فلا يدخلها، **والصحيح** أن هـٰذا التحريم يشمل ما كان بالمصاهرة، وما كان تحريمه بأصل المسألة، فلا تُجمع البنت مع عمتها، ولا خالتها من الرضاع.

كما أنّ من المسائل التي هي خلاف: زوجة الرضيع الذي رضع من امرأة، زوجته يكون صاحب اللَّبن -زوج المرضعة- أبيه، فهو محرم لزوجته، وهو من المسائل التي كان للناس فيها خلاف، إلَّا أن الراجح أنَّ زوجة الراضع يكون صاحب اللّبن زوج المرضعة محرَما لها؛ لأنها زوجة ابنه، فكما أن الابن من الرضاع زوجته يكون أبوه محرَما لها فكذلك أبوه من الرضاع.



الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ

[وَهُوَ الحَدِيثُ الثَّالِثُ مِنَ الزِّيادةِ الرَّجَبِيَّة]

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَامَ الفَتْحِ، وَهُوَ بِمَكَّةَ، يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ ورَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ، وَالخِنْزِيرِ، وَالأَصْنَامِ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ فإِنَّهُ يُطْلَىٰ بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ قَالَ: «**لَا؛ هُوَ حَرَامٌ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَٰلِكَ: «**قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ، فَأَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ؛ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ**».

خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث فيما يتعلق بالمحرمات، وأن الله جل علا إذا حرّم أكل شيء حرّم أكل ثمنه، ولا يستثنىٰ من ذلك إلا ما كان من تحريم الشيء لأمر خارج عن ذلك الشيء، كتحريم لبس الذهب والحرير للرجال، وكتحريم أكل الحمر الأهلية، فلا تدخل في هـٰذا الأمر، تباع ويؤكل ثمنها.

ثم بيّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الاحتيال أمر محرم.

واليهود لما حرّم الله عليه الشحوم قاموا وأذابوها معنىٰ (**فَأَجْمَلُوها**) أذابوها، ثم باعوا الدهن الزائد وأكلوا ثمنه، وبعض ألفاظ الحديث إن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه.

كذلك ما يتعلق بالحيل، الاحتيال لتحريم الحرام لا يحل الحرام، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تعملوا عمل يهود، فتستحلّوا محارم الله بأدنىٰ الحيل**».

اليهود لما حرّم الله عليهم اصطياد الحيتان يوم السبت فامتنعوا؛ لكن لم يصبروا، فوضعوا الشَّرك والحُفر، إذا كان يوم السبت جاءت الحيتان شُرَّعًا علىٰ السواحل، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، ابتلاء وامتحان، فقاموا واحتالوا، حفروا الحُفر ونصبوا الشّرك، فيقع السَّمك في حبائلهم يوم السبت؛ لكنهم يأتون ويأخذونه يوم الأحد، فيقولون: ما اصطدنا يوم السبت إنما أخذنا الصيد يوم الأحد، نهىٰ بعضُهم بعضًا فلم ينتهوا، وقال ببعض بعضهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ﴾؛ أي: الآمرون بالمعروف ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ إعذار عند الله ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾

[الأعراف] مع رجاء؛ لكن لما لم ينفع المجرمين النّصح ولم يقدر الله لهم التقوىٰ سلبهم الله جَلَّ وَعَلَا كما في القرآن الكريم.

ولهذا لا يصح الاحتيال وتحويل الحرام بصيغة تجعله كأنه تحول من نفسه حلالا، كما أن التسمية لا تغير الحال.



الْـحَدِيثُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ

[وَهُوَ الحَدِيثُ الرَّابِعُ مِنَ الزِّيَادَةِ الرَّجَبِيَّة]

عَنْ أَبِي بُردَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَـىٰ الـيَمَنِ، فَسَـأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا؟ فَقَالَ: «وَمَا هِيَ؟» قَالَ: الْبِتْعُ وَالْمِـزْرُ - فَقِيـلَ لِأَبِـي بُـرْدَةَ: وَمَـا الْبِتْـعُ؟ قَـالَ: نَبِيـذُ العَسَلِ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ- فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ».

خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ.

هذا الحديث يوضح أن الأسماء لا تغيِّر حقائق الأشياء، وأنَّ العبرة بالحقائق.

فالخمر إنما حُرِّم لأنه يسكر؛ لأنه يخامر العقل؛ كأنه يغطي العقل بالخمار، فلا يكون للعقل بصيرة، ولما سئل أبو موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن أشربة اليمن فأخبر أنها (الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ) يصنع من شيء حلال، والبتع يصنع من شيء حلال؛ ولكنه لما تحوّل إلىٰ صفة أخرىٰ من الإسكار صار بتحوُّله إلىٰ تلك الصفة محرما، وكان لبعض الأشربة يكنونها بها.

ومثل ذلك مثل الأشربة المعاصرة التي قد ينزع ما فيها من كحول -إذا صح- فإذا كان الشيء لا يسكره كثيره أبدا فلا يحرم كثيره ولا قليله؛ لأنه إذا أسكر منه الكثير فقليله حرام.

وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما شمم رائحة شيء في أحدهم وقال: شممت في فم فلان كذا وإني سائل فإن كان يسكر جلدته الحد. والعبرة بما يكون له الأثر من هذه الأشربة.

ولذلك لما نهىٰ النبيُّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عن الأنبذة في أول الأمر، نهاهم عن الانتباذ في النَّقير والمُقيّر والدُّبّاء والحنتم، ثم قال في آخر الأمر: «**كنت نهيتم عن الشرب في الأواني، فاشربوا كيف شئتم غير ألا تشربوا مُسكرا**» فعلق التحريم بالوصف.

النقير شيء ينقر حتىٰ يتسع ويطلىٰ ويحكم غطاؤه فيسرع إليه التخمُّر.

والدباء المعروف من القرع الذي يسمىٰ اليقطين، فإنه هو الذي أخذ لبه، وبقي جدار قوي يوضع فيه الأشربة، ويوضع فيه العسل، وتوضع فيه الأشياء فيحفظها، ولا يسترب إليها رطوبات، مثل هذا يسرع إليه التخمر؛ لأنه لا يدخله هواء.

كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نهىٰ عن ذلك في أول الأمر فقال لوفد عبد بن قيس لما جاءوا: «**كنت نهيت**

عن كذا فاشربوا كيف شئتم غير ألا تشربوا مسكرا» فجعل الحكم الفاصل في ذلك الاسكار.

اختلف العلماء في النبيذ، كما يقول ذلك الماجن[1]:

أحـــلَّ العراقـــيُّ النَّبيـــذَ وشـــربَهُ　　　وقال الحرامان المدامةُ والسُّكرُ
وقـال الحجـازيُّ الشـرابان واحـدٌ　　　فحلّتْ لنا بين اختلافهما الخمرُ

يعني الشافعي قال: إن النبيذ والخمر شيء واحد، وأبو حنيفة رحمة الله عليهما قال: النبيذ مباح وإنما الخمر، فالشافعي قال: الشرابان واحد النبيذ والخمر، فأخذ هذ الماجن، وقال: أحل لنا من بين قولي هذان الإمامين الخمر.



(١) وهو ابن الرومي.

الْـحَدِيثُ السَّابِعُ والأرْبَعون

[وَهُوَ الحَدِيثُ الخَامِسُ مِنَ الزِّيادةِ الرَّجَبِيَّة]

عَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَـةَ فَثُلُـثٌ لِطَعَامِـهِ، وَثُلُـثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**».

رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرمِذيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وابْنُ مَاجَهْ. وقَالَ التِّرمِذيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ».

هٰذا الحديث (**بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**)؛ لأن من ناحية الصحة المعدة بيت الداء، والتخمة شر وبلاء.

ثم إن الشبع من شأنه أن يحصل التثاقل عن الطاعة وعن التهجد في آخر الليل، ومن شأن الرغبة في الأكل والإكثار منه الغفلة عن الآخرة، ويُخشىٰ عن الإنسان أن يكون ممن قال الله فيه: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ [الأحقاف:٢٠]، والله يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف:٣١]، وقوله: (لُقيمات) تقليل والحث علىٰ التقليل، وإذا أحب ولابد أن يكثر فليحرص ألا يزيد علىٰ الثلث.

ويقول العلماء: إنَّ الإنسان كلما أكثر من الطعام وملأ جوفه كلَّما ثقل علىٰ القلب العمل، وأحس بالإرهاق، وضعف عن القيام بكثيرٍ من الواجبات النافعة لدين المرء.



الْـحَدِيثُ الثَّامِنُ والأرْبَعون

[وَهُوَ الحَدِيثُ السَّادِسُ مِنَ الزِّيادةِ الرَّجَبِيَّة]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَـانَ مُنَافِقًـا خَالِصًـا، وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَـاقِ حتَّـىٰ يَـدَعَهَا: مَـنْ إذَا حَـدَّثَ كَـذَبَ، وإذَا وَعَـدَ أَخْلَفَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإذَا عَاهَدَ غَدَرَ».

خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.

هـٰذا الحديث فيه أوصاف النِّفاق العملية، فإنَّ النفاق نفاق عمل ونفاق اعتقاد.

نفاق الاعتقاد هو أن يُظهر الإسلام ويبطن الكفر، وهـٰذا نفاق المنافقين الذين نافقوا علىٰ عهد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فمثل نفاق الزَّنادقة، يتظاهر الإنسان بأنه من أهل الإيمان، وهو يُبطن الحقد والعداوة؛ لأهل الإيمان.

هـٰذه الأوصاف هـٰذه الأربع، وفي حديث آخر ثلاث، هي نفاقُ العمل يقول: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ)؛ يعني: من صته في حديثه كله أنه يكذب، وفي الأمانات لا يقوم بأداء الأمانة، وفي المخاصمات فاجر إلىٰ آخر هـٰذه الأوصاف.

أما أنه إذا كذب مرة أو خان مرة، فهـٰذه تختلف هي ذنوب ومعاصي؛ لكن الصِّفات اللازمة هي الخطيرة؛ لأنها قد تجر إلىٰ نفاق القلب.

وقوله: (كَانَ مُنافِقًا خَالِصًا) من النفاق العملي، أما لو اعتقد مع ذلك النفاق الباطني وهو اعتقاد بطلان الإسلام وخرافة التديّن؛ لكنه يريد أن يحقق مصالح دنياه بإعلان أنه علىٰ ما عليه الجماعة إن مات عليه كان في الدرْك الأسفل من النار.



الْحَدِيثُ التَّاسِعُ والأَرْبَعون

[وَهُوَ الحَدِيثُ السَّابِعُ مِنَ الزِّيادةِ الرَّجَبِيَّة]

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ: تَغْدُو خِمَاصًا، وتَرُوحُ بِطَانًا».

رَوَاهُ الإِمَامُ أحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَابْنُ حِبَّانَ [فِي «صَحِيحِهِ»]، والحَاكِمُ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

هـٰذا الحديث يحث علىٰ مراعاة التوكل واعتقاد أن الله جَلَّ وَعَلَا بيده كل شيء، ولا يفوت العبد شيء كتب له، وأن الله تكفل بالأرزاق والحفظ، فلا يخرج شيء عن إرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولو توكَّل الناس عليه حق التوكل لجاءتهم أرزاقهم؛ أي: لارتاحوا عن الهم والحزن والأسف.

حقيقة الأمر أن ما كُتب سيأتي، وما لم يكتب لن يدرك؛ لكن إذا أحسن الإنسان التوكل علىٰ الله اطمأن ما حصل له علم أنه المكتوب له، وما فاته لم تتبعه نفسه بالحسرات؛ لأنه موقن أنَّ ما فات ما كان ليحصل؛ لأنه ما من إنسان ولا مخلوق إلا وسيأتيه كل ما كُتب له، ولم يحصل له شيء لم يكتب وإن تطلَّعت نفسه إليه، البهائم وسائر الحيوانات والطيور ما تهتم لرزق غدٍ إذا أصبحت توجهت إلىٰ مطالب الرزق في حال جوعها، ثم إذا جاء آخر النهار رجعت بما كتب الله لها.

ولكن ابن آدم وقد أعطاه الله جَلَّ وَعَلَا مزيد عقل علىٰ ما أعطىٰ سائر ذوات الأرواح يتحسّر ويظن أن هـٰذا العقل هو الذي يحقِّق له المطالب، هـٰذا العقل دليل، وقد يكون الدليل غير قائم بالدلالة، وقد يجمح الدليل فيضل هو ومن يقوم بدلالته؛ لكن إذا أحسن التوكل علىٰ الله لم يفته ما قدَّر الله له وأدرك الراحة النفسية والاطمئنان.



الْحَدِيثُ الْخَمْسُونَ

[وَهُوَ الحَدِيثُ الثَّامِنُ مِنَ الزِّيادةِ الرَّجَبِيَّة]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ؛ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ».

خَرَّجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ بِهَذَا اللَّفظِ.

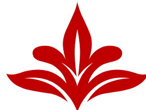
هـٰذا الحديث حديث عظيم؛ لأن ذكر الله جَلَّوَعَلَا يحمل علىٰ بقية الأعمال الصالحة، إذا اشتغل بذكر الله حرص أن يقوم بكل ما يحبه الله مما يقدر عليه، وحرص علىٰ اجتناب كل ما يكرهه الله، والله جَلَّوَعَلَا يحبُّ لعبده الخير وما ينفعه، ويكره مساءته وارتكابه ما حرّم عليه؛ لأنه رتّب العقاب والثواب، الثواب رتبه علىٰ طاعته وامتثال أوامره، والعقاب رتبه علىٰ اجتياز حدوده، فقول المصطفىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**) مر شيء من الكلام علىٰ الأذكار وأثرها.

الأذكار يُستعان بها علىٰ تذليل صعاب الدُّنيا وتخفيف أعبائها، ولذلك يسمع التكبير والذكر في ميادين القتال، لما فيها من تقوية النفس واطمئناها، وقوّة القلب وحُسن تدبيره للجوارح.

فقوله: (**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**) اللسان كلّما استقر بدون حركة، جفّ بما فيه من رطوبة وريق، وخروج النَّفَس، فإذا كان مشتغلا بذكر الله كان ذلك الذِّكر حياة لهذا الإنسان، وإنعاشا للقلب، واطمئنانا له والموفق من وفقه الله.

وحرصت علىٰ سرد بقية هـٰذه الأحاديث شيئا من الخفة؛ لأن القائمين علىٰ هـٰذه الندوة يلحون علىٰ أن يكون كلامٌ علىٰ القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المطبوعة قديما مع ثلاثة الأصول، فقلت: نأتي علىٰ هـٰذه الأحاديث الليلة، وتكون الليلة القادمة -إن شاء الله- إن بقينا لما يتعلّق بالقواعد الأربع.

ونسأل الله أن يثبتنا جميعا علىٰ القول الثابت، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، ويصلح قلوبنا وأعمالنا إنه مجيب الدعاء.



المحتويات

